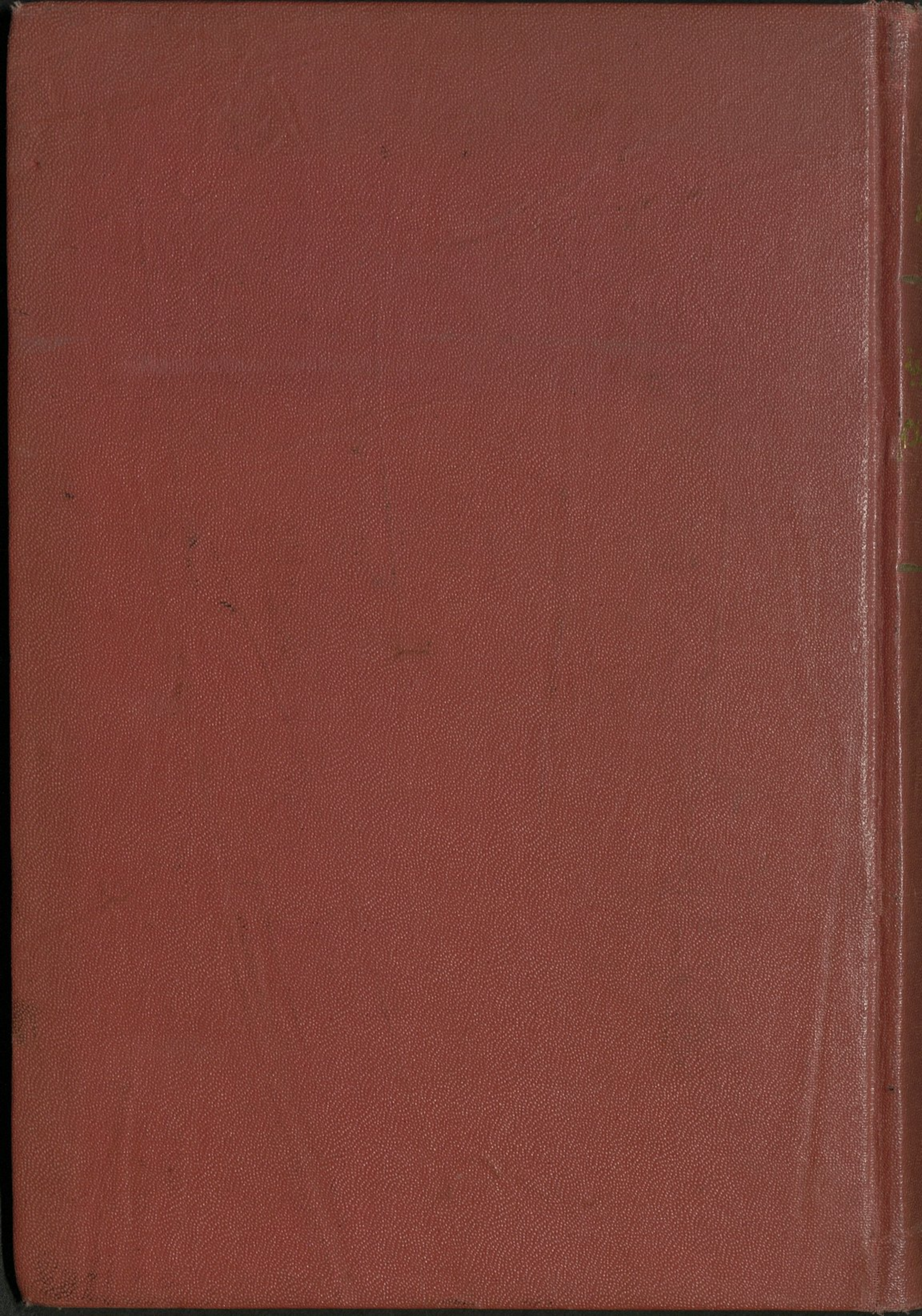
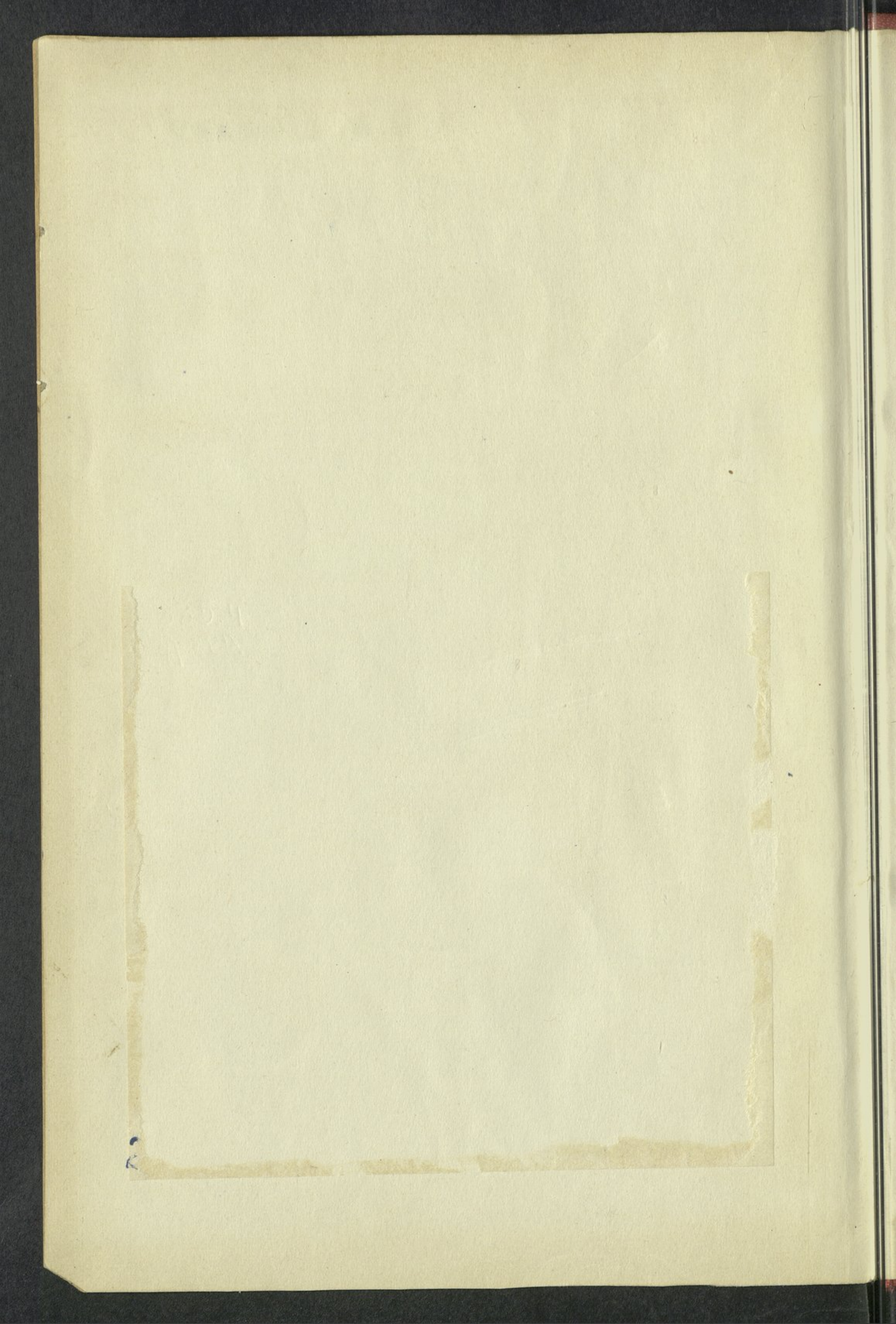
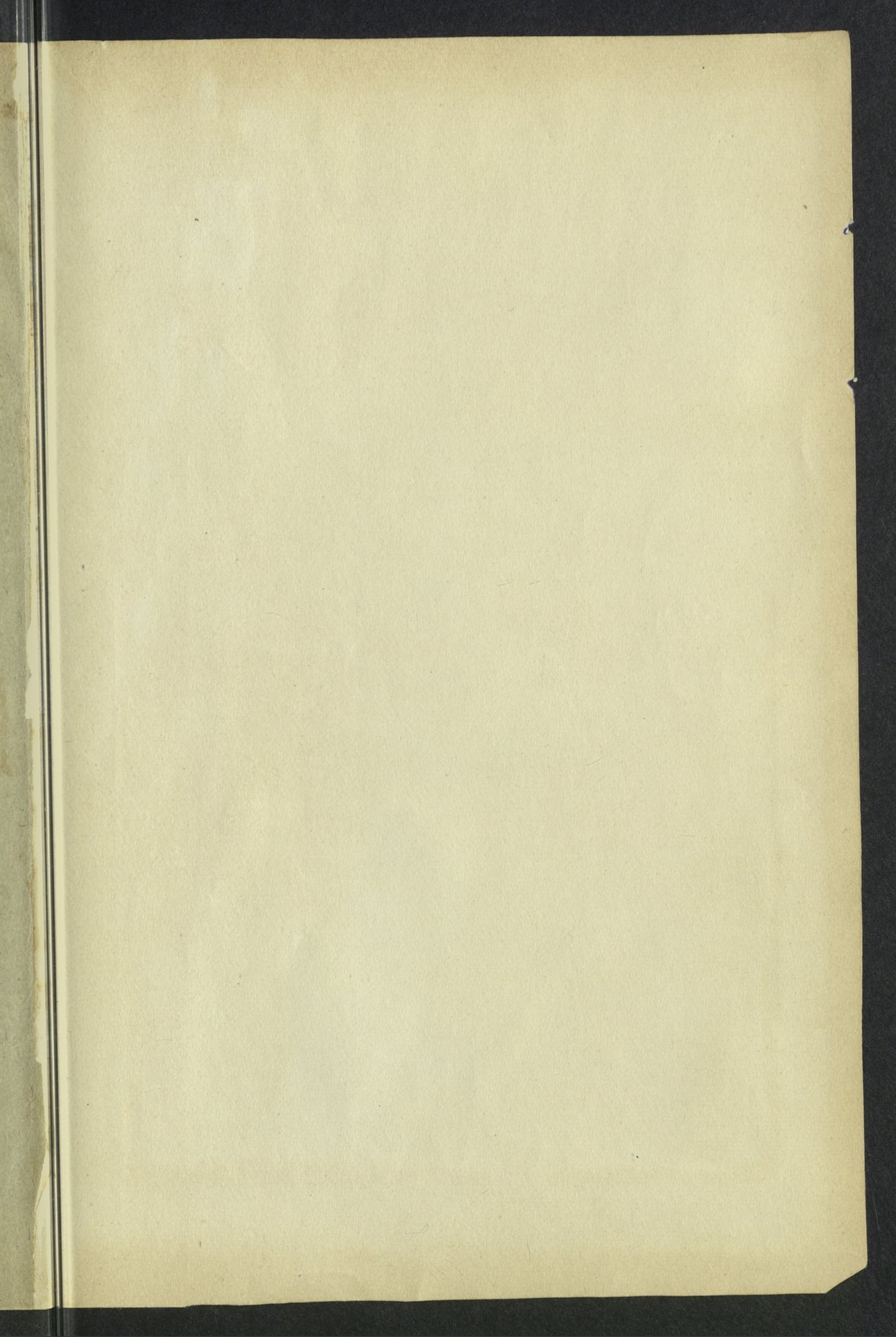






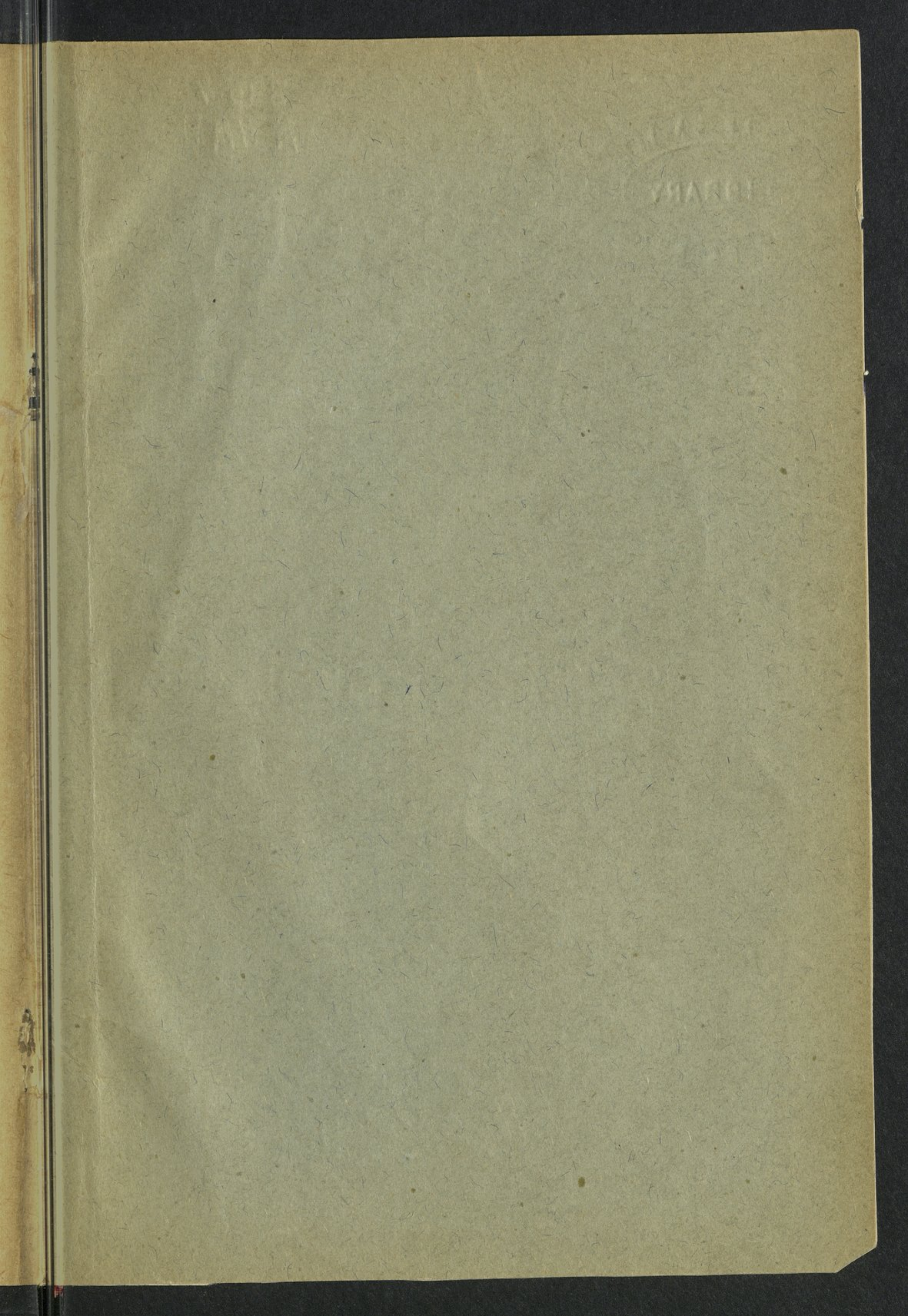
الشيوعية والإسلام

تأليف

عباس محمود العقاد
احمد عبد الغفور عطار

طبع على نفقة حضرة صاحب المعالى

السيد حسن شربتلي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه كلمات مختصرة كنت كتبتها منذ بضع سنين «عن الشيوعية» وأردت أن أذيع بها عندما كنت ألقى أحاديث فى راديو مكة عن الإسلام دين الحرية والقوة والحق والعدل ، وعن المجتمع الفاضل الذى بناه الإسلام ، وعن الدولة الفاضلة التي أقامها ، وعن الدين ضرورة إنسانية واجتماعية وخلقية واقتصادية ، وعن نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، وإلى غير ذلك من الموضوعات التى تتعلق بالإسلام كافل الحريات وبانى المجتمعات وحارس الإنسانية والأخلاق.

إلا أن هذه الكلمات لم يقدر لها أن تذاع أو تنشر ، لأن مسوداتها كانت فى حاجة إلى التنقيح ، ولأننى ودعت مكة المكرمة - حرسها الله — ورحلت إلى مصر فى طلب العلم والمعرفة وطبع بعض مؤلفاتى ، وشغلت عنها وكنت أفكر فى جمع شتاتها وإضافة أشياء جديدة لإخراجها للناس كتابا ، ولكن لكل شىء أوانا تظهر فيه .

وعدت إلى هذه الكلمات منذ شهور ، فلم أجد مايدعونى إلى تغيير رأى رأيته ، أو مقصد أردته إلا بعض براهين وقعت لى ، وهى تثبت ماقلت عن الشيوعية فأدخلتها فى مواضعها من هذه الكلمات .

وكنت أود أن أجمع شتاتها وأجعلها مقدمة لكتاب « الشيوعية والإنسانية » تأليف صديقي الأستاذ عباس محمود العقاد ، فرأيت أنها لاتصلح لطولها ، ولأن الأستاذ الكبير لم يدع لمثلي مجالا بعد أن كتب عن الشيوعية دراسة دقيقة وافية لم يسبق للعربية أن رأت مثله فى الإحاطة والاستيعاب والدراسة العلمية الناضجة ، ولا يصح تأدباً مع الأستاذ الكبير أن أضع هذه « المعلومات » طليعة بحث علمى يكتبه مفخرة العقلية العربية الأستاذ العقاد .

ورأيت من الخير أن أطبعها فى هذه الرسالة ليقف القراء على رأى أحد أبناء مكة المكرمة فى الشيوعية ، ورأيت من الخير أن أكمل رسالتى بأن أضم إليها الفصل الذى كتبه الأستاذ العقاد تحت عنوان « الشيوعية والإسلام » وهو أحد فصول كتابه العظيم « الشيوعية والإنسانية » واستأذنته فأفضل - جزاه الله كل خير - وأذن ، وماكتبه الأستاذ العقاد عن « الإسلام والشيوعية » ليس من قبيل الموازنات ، لأن الشيوعية لاتوزن بأى دين أوأى مذهب ، والإسلام أكرم من أن يوزن بالكفر ، وهو الدين الذى بعث

للقضاء على الكفر ، ولكن كتبت هذا الفصل ليعرف المرتدون أن ما ظنوه مزايا فى الشيوعية ليس إلا مثالب ومخازى لا تصدر إلا من نفوس مجرمة وأرواح شريرة أثيمة تريد الشر بالإنسانية كلها ، ولا يقبلها إلا من كان ذا نفس لئيمة كافرة وروح شريرة داعرة ، وما وعدت به الشيوعية من تحقيق العدالة الاجتماعية ونشر السلام والأخوة لم يكن إلا كذبا ومينا ، أما الاسلام فقد حقق كل ماتصبو إليه الإنسانية من خير وسعادة ورخاء وحرية للانسان أيا كان نوعه وجنسه ولونه ولغته .

وليعلم القارىء أن الإجماع منعقد على مقت الشيوعية والاشمئزاز منها ، لأن هذا المذهب الماركسى البغيض أشنع ما اعرف من أنواع الكفر والإثم وأقذره وأحطه .

هذا رأى البداهة فى الشيوعية ، هو رأى الفطرة ورأى العلم ورأى الأخلاق ، بل وهو رأى العالم الحر ، بل هو رأى الروسيين أيضا لو وجدت ألسنتهم الحرية .

كل الناس على بعد الديار واختلاف الألوان والأجناس واللغات يشمئز من الشيوعية ، إذا كان على بصيرة وهدى ، وقد انخدع بها قوم من أقطاب الفكر والعلم زمنا ، ثم لما رأوها على حقيقتها انقلبوا عليها ومقتوها وحاربوها بعد أن تابوا وندموا .

وحسبنا أن نستشهد بأحد أقطاب الأدب العالمى ، وهو أندريه

جيد الكاتب الفرنسي المشهور ، ولرأى جيد وزن ، ولرأيه ثقل عندما توضع الآراء فى الميزان فى هذا السبيل ، فقد كان شيوعيا متحمسا حتى قال فى يومياته المطبوعة : « إن إيمانى بالشيوعية يشبه إيمانى بدين ، وإنها البشرى للانسانية بالنجاة ، ولو اقتضى نجاحها بذل حياتي لبذلتها فى سبيلها غير متردد » .

ثم يشاء الله لجيد أن يذهب إلى روسيا بدعوة من ستالين ورجال الكرملين ، وتتحشد الحكومة الروسية لتكريم جيد وإطلاعه على فردوس الشيوعية وأدخلته فيه حتى يسعد بما أعدت من نعيم ورخاء وسعادة وطمأنينة ، ويرى بعينى رأسه ، ويحس بكل جوارحه الشيوعية ، ويتغلغل فيها باحثا دارسا مستمتعا ، فاذا هو يغادر الفردوس ليقول للعالم : « لا يمكن مهما كان الأمر أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذى تنحدر إليه الشيوعية ، ولا يمكن لأحد مهما طفر به الخيال أن يتصور مأساة الإنسانية والأخلاق والأديان والحريات فى بلاد الشيوعية ، ولا يمكن أن تصل الخسة بالإنسانية إلى حد ما تصل إليه في الشيوعية » .

كل أصحاب الفطر السليمة يستنكرون الماركسية ويلعنونها ويحاربونها وينفرون منها ويخشون أن تندس سمومها فى النفوس فتميتها أو تحيلها إلى نفوس مجرمة ، وهذا ما حمل الحكومات على أن تحاربها ، وأصدقاء روسيا أنفسهم من زعماء الشعوب ورؤساء

الحكومات يمقتون الشيوعية ، ولا يرضون أن يعتنقها أحد من أفراد شعوبهم برغم ما يلقى هؤلاء الزعماء من تكريم روسيا ومجاملاتها واحتفائها بهم . ومن هؤلاء : « نهرو » الذى احتفلت به روسيا احتفالا منقطع النظير ، ونهرو معروف بحرية فكره ونزاهته وحرصه على أن تكون علاقاته بالمعسكرين الشرقي والغربي مبنية على أساس التعاون والإخوة والسلام .

قال نهرو فى ١٤ إبريل سنة ١٩٥٦ م فى خطاب تاريخى له : « إن تفكير « كارل ماركس » الذى عاش فى القرن التاسع عشر لا يلائم تفكير القرن العشرين الذى تقدمت فيه العلوم والنظريات الاقتصادية تقدما جعل آراء « ماركس » غير مقبولة ولا صالحة في هذا القرن ، وأنا لا أتقبل شيئا من فلسفة « ماركس » ، وهى لا تملأ شيئا من فراغ نفسى ، ولا تجيب على أى سؤال يوجهه عقلى ، وإن الماركسية خالية من المثالية ، والشر لا يكون وسيلة للخير ، وإن التعايش السلمى وليد الديموقراطية » .

وحارب نهرو الشيوعية في بلاده حربا عنيفة لا هوادة فيها وقسا فى خصومته وفى حربه التى أعلنها على الشيوعيين ووصفهم بأنهم إما مجانين أو بُله .

ويقول إقبال مؤسس باكستان : « أعظم خطر على الإنسانية كلها : المادية الملحدة » .

فهل يستطيع أى عبد للماركسية والماركسيين من الضالين فى العالم العربي أن يزعم أنه أكثر إيمانا بالمثل والقيم من إقبال وجيد ونهرو ، أو أنه أعظم منهم فهما للسياسة والتاريخ والاقتصاد والحركات العمالية والفلسفات ، أو أكبر منهم عقلا وأشد منهم إخلاصا ؟! .

والبلد الوحيد الذى لا تعيش فيه جرثومة الشيوعية لحظة واحدة هو البلد الذى يرفرف عليه العلم السعودى ، والبلد الوحيد فى العالم السالم من النشاط الشيوعى البلاد السعودية المقدسة التى حماها الله بفضله ثم بفضل مليكنا الصالح المسلم المؤمن المحسن سعود أيده الله ونصره .

أما البلدان العربية الأخرى ففيها بعض النشاط الشيوعى ، إلا أن حكوماتها يقظة له ، تهاجم أوكاره ، وتضبط وسائل إجرامه وتزج فى السجون السفلة الذين دانوا بالشيوعية ، وتقف بالمرصاد لها ولهم ، كلما لمحت منها بادرة بادرت باخمادها والقضاء عليها .

وقد سألنى بعض الإخوان عن رأيي فيمن ينقلب شيوعيا من المسلمين فأجبتهم ، وأذكر جوابى فى هذا الموضع ليشاركني علماء المسلمين الرأى :

إن الشيوعية تنكر وجود الله ورسالة الرسل عليهم السلام ، وهذا وحده كاف لأن يهدينا إلى الحكم على معتنقها .

إن المسلم الذى يعتنق الشيوعية مرتد عن الإسلام ، لأنه يدين بمذهب ينكر الخالق ويجحد الرسل ويتهمهم كذبا وزورا أنهم ليسوا رسلا لأنه لا وجود لمن يرسلهم وهو الله ، وحكم الإسلام فى المرتد معروف وهو القتل ، أما من يطرى الشيوعية إطراء يشتم منه تفضيلها على الإسلام فانه يفهم ويستتاب فان أصر على التفضيل والإطراء قتل كفرا ، وإن تاب قبلت توبته على أن يعزره الحاكم بما يرى .

ويجب على حكام المسلمين أن يطبقوا الشريعة الإسلامية فى هؤلاء المرتدين تطهيراً للبلدان الإسلامية من جرثومة الشيوعية إعلاء لكلمة الله وتأييدا لدينه الحنيف ، واستئصالا لشأفتها باستئصال من يدخل فيها ممن يدعون الإسلام أو يتظاهرون به كذبا ونفاقا وتضليلا وخوفا من أن يؤخذ بجريرته وفساده وكفره .

ونرجو الله أن يلهمنا الصواب ، ويوفقنا للخير ، ويهدينا الصراط المستقيم ، إنه سميع مجيب .

٩ / ١٢ / ١٣٧٥ هـ　　　　احمد عبد الغفور عطار

الشيوعية والإسلام

الدعوات الهادمة

منذ قيام المجتمعات الإنسانيـة على وجه الأرض والعالم مبتلى بدعوات هدامة ما خلت من أتباع برغم ثبوت بطلانهـا وفسادها قبل تجربتها وبعدها ، ولكنها ما كادت تولد حتى تهزل ، وتموت قبل أن تشيع ، وأما ما شاع منها فلم يكتب له البقاء ، وكان يحمل فى أطوائه وسيلة فنائه ، وما استمكنت دعوة من هذه الدعوات الباطلة إلا كانت كالنملة تموت عندما ينبت لها جناحان .

إلا أن الدعوات الهدامة القديمة التى كتب لها أن تلمع وتشيع لم تجد السبيل إلا إلى النفوس المريضة والأرواح الهزيلة والأمزجة الملتوية ، أما أصحاب الفطر السليمة فلم يؤثر عنهم قط أنهم استجابوا لدعوة تقوم على الشر والفساد .

وشر ما منيت به الأرض ـ منذ عرفت الدعوات البناءة والهدامة ـ الدعوة الشيوعيـة التى استباحت لترسيخ قواعدها ما لا يباح ، واتخذت من الوسائل أقبحها وأقذرها وأشنعها ، ومزقت كل الفضائل والقيم ، وحاربت كل الأديان ، وداست المثل والأخلاق حتى لا تقف فى طريقها قوة تمنعها عن السير وتصدها عن الانتشار .

ولم يكن الخطر من المذاهب الهدامة فى القديم كبيرا ، لأن وسائل الإجرام العلمى لم تكن متقدمة ، وسبل النشر والإذاعة لم تكن ميسرة ، فكان الخطر قابعا فى حدود ضيقة لا يسعه أن يتجاوز المكان الذى تولد فيه تلك المذاهب ودعوات الشر والعدوان .

فالباطنية ـ مثلا ـ كانت مذهبا من شر المذاهب التى عرفتها الأرض ، وقام بناؤها على الأسس التى قامت عليها الشيوعية ولم تفترق عنها إلا فى بعض النواحى التى يعود فضل الفرق فيها إلى الزمن .

ولدت الباطنية فى نفس حيوان قذر امتلأ قلبه بالحقد على الإنسانية والنقمة من الفضائل والأخلاق ، وبنى مذهبه على نكران الغيب والإيمان بالمادة وهدم الفضائل كلها وإباحة المحرمات جميعها .

أنكرت الباطنية وجود الله ، وزعمت أن الرسل ادعوا النبوة

طمعا فى حكم العامة ورغبة فى السلطان ، والأديان صدى الحاجة ووليد الضرورة ، وأنكرت كل قيد من قيود العقيدة والخلق ، وسمت الفوضى حرية ، وجعلت الخلاعة والمجون والفسق والفجور والإباحية شريعة متبوعة ، وجعلت كل ممنوع مباحا ، وكل حرام حلالا ، وكل حريز مشاعا ، وفصمت عرى الزوجية بأن أباحت إتيان الولدان ، وجعلت اللواط لزاما ، وقضت على عاطفة الأمومة والأبوة والبنوة بنكاح البنات والأمهات والمحرمات ، وأطلقت لكل غريزة جامحة عنانها ، ونشرت مذهبها بالسيف حينا وبالدس والمكيدة حينا ، واتخذت كل وسيلة حتى يشيع ، وحملت أصحاب الفطر السليمة حملا على أن يدخلوا فيها فان أبوا — وكانوا يأبون دائما — فالسيف لا يتورع عن أعناقهم .

والشيوعية انفجرت فى نفس صاحبها الأول مثلما انفجرت الباطنية فى نفس داعيها الفاذ ، وكان كلاهما معاظل الطبع مسلوب الضمير ممسوخ النفس ملوث الآدمية .

إلا أن الباطنية لم تستطع أن تحكم وتسيطر إلا قليلا فى بيئة محدودة ورقعة ضيقة ، لأن القوة المادية لم تحرسها ، بل لم تكن لديها قوة كبيرة تنشرها وتثبت قواعدها ، ولأن أصحابها لم يكونوا أجرياء وقحين كالشيوعيين الذين يعرضون عوراتهم دون أن

يخجلوا ، ولأن الباطنية انشقت على نفسها فكانت فرقا تجتمع فى بعض الأصول و تفترق في أكثر الفروع ، ولأن الإنسانية كانت تعيش على الحياء .

أما الشيوعية فقويت لأن أبالستها الناكرين وجود الله كانوا أكثر حيوانيـــة وأعظم جندا وأشد إجراما ، لم يجعلو الموت بعد العذاب الأليم نهاية كل من لا يؤمن بمذهبهم البـاطل الهدام فحسب ، بل قتلوا الأبرياء تقتيلا ، بل قتلوا الأتباع والحكام بعضهم بعضا ليُخافوا ويضمنوا الطاعة والاستسلام ، وجعلوا الأمن فى أن يخاف كل أحد من كل أحد .

قويت الشيوعيـة لأن أصحابها ادخروا لهـا كل قوى الشر لحمايتها وحملوا الناس حملا على أعناقها ، وشدوا أزرها بالإرهاب الذى جنوا به جنونا ، وأخمدوا أنفاس من يسأل أو يستفهم ، وحرسوا مذهبهم بأن عزلوا الشعب الروسى عن العالم فلم يمكنوا روسيا من الخروج أو غير روسى من الدخول ، وفرضوا عليه الشيوعية بالإكراه والتعذيب ، وجعلوه يعيش كالقوقعة فى غيابة محارتها الضيقة ، وساعدتهم « الظروف » السيئة التى مرت بروسيا عقب ثورة الجيش على آل رومانوف .

ويكفى لتصوير حالة روسيا أن يعلم القارىء أن أى مذهب

هدام كان يجد مجالا فى روسيا ولو لم يستعن دعاته بالإرهاب والقوة لأن روسيا كانت تتطلع إلى تغيير حالتها بأى ثمن ، ودليل ذلك أن مذهب راسبوتين المحتال شاع فى أرقي طبقات روسيا كما اعتنقته الطبقة الدنيا .

وما أظن أحدا غير الشعب الروسى المسكين كان يقبل مذهب راسبوتين الذى بناه على أن طهارة الروح تنبع من تدنيس الجسد ، ويقصد به أن يبالغ الإنسان ويسرف فى ارتكاب الموبقات ، المرأة تبيح جسدها لكل راغب حتى يطهر روحها .

وكان راسبوتين أكرم من ماركس وأتباعه ، لأنه لم يزخرف مذهبه الهدام بما زخرف به ماركس مذهبه ، وراسبوتين لم ينكر وجود الله ولا رسالة الرسل بخلاف ماركس الذى قصد ـ أول ما قصد ـ إلى هدم الأديان كلها . ولم يعلن راسبوتين للملا كله أنه جاء بمذهب لسعادة البشر ، ولم يزعم أن مذهبه سيتيح للانسانية الاستقرار والطمأنينة والسعادة مدى الدهر كما تبجح ماركس .

فمن هذا الجانى الأثيم ؟ !

كارل ماركس

إنه كارل ماركس المولود سنة ١٨١٨ الهالك سنة ١٨٨٣ م .

وكان أبواه يهوديين ، واسم أبيه هرشل ، ولما ارتد عن دينه وصبأ إلى المسيحية سمى نفسه هنريخ ، وذكر محبوه أن سبب تنصر أبيه أن اليهود لم يكونوا متحررين فكريا بل كانوا جامدين ، وكان هنريخ حر الفكر دارسا للفلسفة ، ولم يجد فى اليهودية مايتفق مع حرية فكره وعلومه وثقافته .

وهذا زعم غير صحيح ، فقد كان فى عصره كثير من اليهود الفلاسفة ، ثم لا يطلب من المعتنق دينا من الأديان أن يكون دينه فلسفة أو مدرسة فلسفية ، والدين الذى انتقل إليه هنريخ — وهو المسيحية — لم يكن مدرسة فلسفية أو فلسفة ، هى كاليهودية فى الأصول ، وكلا الدينين يتفق فى أنه بعيـــد عن الفلسفة بتعريفها العلمى الذى كان معروفا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

ويزعم بعض محبي كارل ماركس أن صبوء والده يعود إلى نفوره من القيود الدينية المفروضة على اليهود ، وجمود تعاليم اليهودية ورغبته فى التحرر من قيود الطائفة الإسرائيلية .

وهو زعم كسابقه يرد عليه أنه كان فى وسع هرشل أن يتحرر فكريا ويتمرد على أفراد طائفته مع التمسك بدينه .

أما الزعم الثالث الذى يذيع به أنصار ماركس أن سبب ترك هرشل اليهودية أن اليهود كانوا مضطهدين يقاسون أسوأ المعاملات من المسيحيين الذين أرهقهم الربا الفاحش المفروض عليهم من الدائنين اليهود ، فترك كثير من اليهود دينهم وتنصروا لنجوا من الأذى الحائق بهم .

وسواء أكانت هذه الأسباب كلها صحيحة أم مجرد اعتذار فانها لاتكفى لأن يتخلى المرء عن دينه بهذه السهولة ، وإن هذه الأسباب التى تتلمس الأعذار لهرشل تدل على أن المصلحة هي الدافع الأول .

فهرشل يهودى ، واليهود معروفون منذ وُجدُوا بالحرص على الأموال والأنفس والثمرات ، والتضحية بكل غال ورخيص فى سبيل النجاة بالمال أو النفس ، فهو على بعض الأسباب يترك دينه لأن المسيحيين يعادون اليهود .

وأظن هذا السبب لايكفى لأن يتنكر المرء لدينه ويتبرأ منه ويتخلى عنه .

والسبب الصحيح هو الرأى الثالث الذى ذكره محبو ماركس

وهو يدل على أنه لم يكن دافعا من دوافع العقيدة والشعور الإنسانى الرفيع ، بل دافع « المصلحة » فهو قد رأى أن يهوديته لا تمكنه من الربح والكسب فتركها وتدين بدين المسيحية التى تفتح أمامه أبواب الرزق .

هذا هو والد ماركس ، وهو وحده كاف فى الدلالة على عنصره ومعدنه من ناحية العقيدة والخلق .

وماركس نفسه لم يكن من أولئك الذين يمتازون بالخلق الإنسانى الرفيع ، ولم يكن من أصحاب المواهب البناءة التى تعمل للخير ، ولم يكن من أصحاب المدارس الفكرية وإن كان له أتباع وأنصار ، وكل ماله أنه أدخل بعض آرائه المنبعثة من نفسيته السوداء الكنود على النظرية المادية وجعلها أما لكل عمل عقلى أو فنى أو شعورى ، وجعل المادة هى كل شىء ، وأنكر وجود الله .

إن ماركس لم يكن فى شبابه الباكر ملحدا كافرا فقد قال : « إن خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخير الناس ، والدين أساس الحياة الإنسانية ، وهو نفسه يلقننا الحكمة والخير » ويقول لنا : « إن المثل الأعلى الذى يجب أن يسعى إليه كل فاضل فى الوجود هو أن نضحى بأنفسنا فى سبيل خير الإنسانية وإسعادها » .

هذا هو ماركس فى شبابه ، وتلك عقيدته برغم صبوه والده وبرغم ماتحدث الناس عن دوافع هذا الصبوء .

إلا أن الابن سر أبيه ، فكما ترك أبوه عقيدته فقد ترك الابن عقيدته الصحيحة واستبدل بها عقيدة أخرى تناقضها كل المناقضة .

ترك العقيدة التى تنبعث منها أضواء الخير والإنسانية ثم ترك وحاربها أشنع حرب ، إلى عقيدة تتفجر بالخزى والحقد على الفضائل والإنسانية ، وزعم أن الدين أفيون الشعوب ، وأن الله غير موجود ، لا إله إلا المادة .

ماسبب هذا الكفر والنقمة على الإنسانية .

هناك أسباب كثيرة أقربها : أنه من نسل يهودى صبأ من أجل المادة ، فله بأبيه أسوة ، ثم إن الحياة كانت شديدة الوطأة عليه ، هو يريد مالا يعيش منه وينفق على نفسه وزوجته وأولاده ، ومن الذى يلقى إليه المال دون أن يقدم عملا يستحق عليه أجرا ، وإن السماء لاتمطر عليه الذهب ، فهو كافر بالسماء ، وكافر بالإنسانية لأن الناس لم يعطوه شيئا .

ويكفى لتصوير بؤسه ما كتبته زوجته — واسمها جينى — إلى صديق لها تطلب إليه العون ، قالت : « إئذن لى أن أصف لك يوما

من أيام هذه الحياة ، وسترى أن غيرنا لم يقاس ماقاسينا ، فأنا مريضة سقيمة ، ومع أن ما بظهرى وثديي من أوجاع وآلام ممضة فانني مضطرة إلى أن أرضع طفلي الرابع الحديث الولادة من ثديي لأنني لاأستطيع أن أدفع أجر مرضعة ، ولكن طفلي كان يرضع الحزن والألم والسقم فيتلوى من الوجع ليل نهار ، ومنذ أن ولد لم ينم إلا ساعتين أو ثلاثا فى اليوم كله ، ومع كل هذا الفقر والحاجة دخلت علينا صاحبة المنزل وطلبت ماتجمع لها من أجرة ونقود اقترضناها منها ، والإيجار والقرض خمسة جنيهات . ولما كنا عاجزين عن الدفع فقد أحضرت سمسارين استوليا على كل مانملك من أثاث وفراش وملابس ، حتى مهد الطفل استوليا عليه ، وخرجنا إلى الشارع وكان المطر ينهمر بغزارة والبرد قارس لايرحم ، وبذل زوجي كل ما فى وسعه من جهد فلم نجد من يقبل إضافتنا أو إيواءنا » .

وقالت زوج ماركس تصف إحدى ليالي البؤس : « أحست ابنتنا بنزلة شعبية وصارعت الموت ثلاثة أيام ثم ماتت ، وأخذنا نبكي عليها ولم يكن لدينا مانجهزها ونكفنها وأبقينا الجثة ريثما نجد مانستعين به على دفنها ، ومضيت إلى جار فرنسى مهاجر فأعطاني جنيهين ، وا أسفاه ، وفدت ابنتنا إلى الدنيا فلم تجد مهدا ، وعندما غادرته لم تجد كفنا » .

كان ماركس فقيرا مدقعا ، فقد كان أبوه ينفق عليه ، فلما توفى اتكأ على أمه وأخته فأنفقتا عليه من إرثها و كسبها حتي كلتا من إرسال النقود إليه فقطعتاها عنه مضطرتين .

هذا هو نبى الشيوعية الذى يهتفون باسمه ويمجدونه ، ويصفونه بالإنسانية يقفز قلبه من الرحمة على أمه العجوز وأخته المريضة ، ولا يدعهما وشأنهما بل يرهقهما بطلب المال حتى أكله وأكلها .

كان واجبا عليه أن يتولى الإنفاق عليهما ، ولكنه لم يؤد واجبه نحو أقرب الناس إليهما ، بل أرهقهما كفرانا وسؤالا .

(إن سبب إنكار وجود الله أن السماء لم تمطره ذهبا فكفر ، وسبب إنكار الخير والإنسانية أن الناس لم يعطوه مالا ينفق منه وهو كسلان نائم .)

إن ماركس كسول خامل يحب أن ينام أو يتشرد ، ويريد من الطعام أن يسلك طريقه إلى فمه دون كد منه أو عمل ، فبرغم حاجته البالغة وفقره المدقع ، وبرغم أنه كان يرى أطفاله يموتون من الجوع والبرد والمرض فانه لم يكلف نفسه العمل ، فملأ الحقد قلبه وأكلت النقمة نفسه فآذن الانسانية بحرب لاتبقي ولا تذر ، وأى حرب أشد من هلاك القيم ودمار المثل وانهيار صروح الدين والايمان ؟ .

إنه كان ناقما على الانســانية برغم أن معيشته كانت من الاحسان ، فالمهاجر الفرنسى يعطيه ما يكفل تجهيز بنته ، وغيره يقدم له الطعام والسكن ، وماذا يريد أكثر من هذا وهو الذى يتشدق بأن من لا يعمل لا يأكل ؟ .

لو كان عند هذا الرجل خليقة الحياء وحب النفس والولد حبا صحيحا لاشتق من الصخر شبعا وريا ، ولصان زوجه ونفسه من التكفف والسؤال ، ولنأى بنفسه من الزراية والفضوح عندما بيع أثاثه وملابس زوجه ومهد طفــله ، ولـكنه كان جامد القلب والشعور ، فاضطر زوجه أن تسأل وتتسول ، وأجبر نفسه أن يعيش على « فضلة » خير الآخرين .

ولم يكن الكسب الشريف مغلق الأبواب أمامه ، فقد أراد له أصحابه أن يعيش من كسب يده ، فاتفقوا له مع بعض الناشرين أن يؤلف كتابا لهم وأخذوا أجرا سلفا دفعوه له فأكله وهو نائم ولم يعمل ، وباع الكتاب المتفق عليه إلى ناشر آخر وأخذ منه الأجر ولم ينجز ما وعد ، لأن نفسه لم تكن من تلك النفوس الأبية التى يؤلمها أن تأكل حقوق الناس دون أن تهتم بالتسديد والوفاء .

وما أدرى كيف تدفع الصفاقة والقحة أناسا يزعمون أنهم من بنى الإنسان فيدعون أن ماركس مصلح .

إن المصلح إنسان نبيـل ينأى بنفسه عن السؤال ، ويلزم نفسه بالسعى والعمل ، فما أثر عن مصلح أو رسول أو نبى أنه أكل من كسب الآخرين وهو نائم على فراشه .

ما من مصلح قام على وجه الأرض إلا أكل من كسب يده ، وأحسن من فيض كسبه على الفقراء والمحتاجين .

ومن الافتئات على التاريخ أن يزعم الشيوعيون أو من اتبعوهم أن ماركس كان شفيقا بالطبقة العاملة ورحيما بالعمال ، فما أثر من تاريخه وتاريخ حركته ينقض هذه الدعوى ، فهو إذ نادى بانصاف العمال نادى إلى جانب ذلك بتحطيم الرأسماليـــة وسلب الملكية واستصفاء أموال الأغنياء .

وسبب هذا النداء أنه كان لا يملك شيئا يخاف عليه ، ولا يستطيع أن يرتفع إلى طبقة الأغنياء والموسرين ، وخير حل يتفق مع حاله ومزاجه ونفسيته أن يتساوى الناس ويكونوا مثله فقراء ، والمساواة فى البلاء تعزية وسلوان .

ولو كان لديه من حطام الدنيا شىء لتكالب عليه ودافع عنه ، بل نجده من أجل جنيهات معدودات تتسرب إلى جيبه الخاوى يتنكر لمذهبه ودعوته فيقبل أن يحرر فى « صحيفة الدين » التى

أنشأها بعض البورجوازيين ويكتب فيها مقالات أغفل فيها كل الاغفال دعوته حرصا على المال يأتيه ولو كان عن طريق لايرضي مذهبه .

هـذا يدل على أنه لم يكن زاهدا متنسكا ، بل كان شديد الطمع والحرص ، يتنكر فى سبيل المال لمبدئه ويتنكر لأصحابه وتلامذته كما صنع عندما كان أحد تلامذته محرراً فى إحدى الصحف وأقصى بسبب مقال كتبه عن بعض قواعد مذهبه ، فقد سعي حتى أحل محله ، وكان المظنون أن يتابع حركة تلميذه التى هى تأييد لنفسه ، إلا أنه نسى ذلك كل النسيان وأخذ يندد بتلميذه ويتهمه بالسخف ويمشى فى سبيل غير سبيله نفاقا منه وخوفا من أن ينقطع عنه هذا المورد الجديد .

ولم يكن ماركس رحيما بالعمال ، فقلبه الذى لم يتسع بالرحمة لأهله وأقرب المقربين إليه محال أن ينبض بها من أجل البعيدين عنه ، وإذا كان لايرحم أباه الشيخ حتى استنفد قواه وماله ولم ينهض للسعى والعمل والانفاق على أبيه الجدير منه بالعون والرحمة فان من الجهل أن يظن أحد أن فى قلبه متسعا لمن لاتجمعه به صلة القرابة والنسب ، وإذا كان قاسيا على أبيه فانه على غيره أشد قسوة وأشد تنكيلا ، ثم إنه لم يأبه بأمه وأخته — بعد موت

أبيه — بل كان عالة عليهما وأرهقهما بالطلب والسؤال حتى قطعتا عنه العون .

كل هذا واقع يؤيده تاريخ ماركس وتاريخ الشيوعيين أنفسهم فكيف نصدق بعد هذه الوقائع والحقائق أن ماركس رحيم بالعمال وغيور على الطبقة العاملة ؟ .

ليس أحد أحق بالرحمة من الوالدين والأهل ، وليس فى الدنيا من يترك الغيرة على أهله ويهبها للناس ، وإن من يبخل على نفسه وعلى أبويه وإخوته وأولاده بالعمل ليرحمهم قمين ألا يجود به على غيرهم ، لأن الإنسانية فى قلب الإنسان نبع صاف يرتوى منه أقرب الناس إليه ومن بعدوا عنه إذا كان من الإنسانية فى الصميم .

أما إذا كان الوالدان لا يجدان لدى ابنهما ما يبل صداهما فان من فقدان الإدراك والعقل والتمييز أن نصدق أنه أعد الرى لجميع الناس .

كان كارل ماركس مخادعا كذوبا ، لم يحفل بالطبقة العاملة ، وإنما تظاهر بذلك حتى يسخرهم لمصلحته ويجعل منهم لنفسه جنودا وأعوانا يعملون لمجده وشهرته ، ويقوى بهم ، ويتظاهر بحبهم ما فنوا فى شخصه وذابوا فى كيانه وصاروا جزءا منه ، فاذا استقل منهم

أحد برأى ، أونبغ فيهم نابغ ، أواشتهر من بينهم زعيم ، فان ماركس أول المتنكرين الناقمين .

وآية ذلك أنه حارب عاملا من أتباعه المخلصين ارتقى به حبه لزملائه الى أن يرأس حركة إصلاحية تخدم الطبقة العاملة أعقبت شهرته ، فنفس ماركس على تابعه شهرة أرادها لنفسه ، وحسده وطرده ، ولم يشفع له إخلاصه ، وهذا التابع الأمين هو « ويتلنج » المسكين .

(وما أدرى كيف يصدق عاقل أن نفسا كنفس ماركس مليئة بالحقد على الأديان والنقمة على الأخلاق والقيم والإنسان تعمل من أجل مصلحة الآخرين ؟)

كان من خلائق ماركس : الكذب ، والغرور ، والإخفاق فى كل عمل ، إخفاق فى المدرسة وفي الجامعة حتى أنه لم يستطع مواصلة الدراسة الجامعية ، وإخفاق فى مجال الحياة ، وفشل فى كسب العيش ، وركون إلى الخمول والكسل ، وطمع فيما بيد الناس ، وذلة مقيتة قضت على كرامته الأدبية فكان يتكفف ويسأل ، وجمود فى العاطفة حتي أنه لم يؤثر فى تاريخه أن له صديقا واحدا صداقة بريئة لا تقوم على أساس البيع والشراء ، وإنجلز المعروف

بحبه لماركس وصداقته له لاأراه صديقا إنسانيا ، لأن ماركس صادق إنجلز للمصلحة والمال ، كان إنجلز يحسن بالمال على ماركس فهو مضطر إلى مداراته ومجاملته حتى لا يغضبه ، ثم إن إنجلز كان ميسورا ، ورأى أن لماركس مستقبلا قد ينفعه لو سار معه فخصص له مالا يقبضه ماركس كل عام ، إن صداقتهما معاملة تجارية ومقايضة .

أما آراؤه التي وصفها هو نفسه بالعلم فلم تكن إلا نبوءات كاذبة لم تستطع أن تعيش إلا بعضها عاشت زمنا يسيرا بالإكراه ، ولم تتحقق نبوءة واحدة من نبوءاته الكاذبة بحذافيرها ، مع أنه زعم في قحة وكبرياء أن « النظام » الذى وضعه ستأخذ به الإنسانية آلاف السنين ولن تحتاج إلى نظام آخر ، ولا يقبل نظامه التغيير والتبديل .

ونظامه السياسي أو الاقتصادى قد اعتراه من التغيير خلال ثلاثين عاما حتى لم يبق منه إلا الاسم ، وأما المسمى فقد تغير ، ووضع مكانه مسمى آخر اشترك فيه أتباعه الهدامون المخربون .

وإن ماركس يشبه عندى « الزنبور » الذى ظنه الشيوعيون نحلا ينتج لهم عسلا ، وهذا « الزنبور » لا يستطيع أن يقدم للناس شهدا ولو امتص كل زهور الأرض ، إنهم لن يفيدوا منه إلا اللسع والطنين .

آراء ماركس

لماركس آراء فى الدين والمادية وفى الاقتصاد وفائض القيمة والأجور والطبقات ، وقد طبل لها الجهلة من أنصاف المتعلمين وزمروا وشيدوا لها التماثيل وطافوا بها ، ولو اطلعوا على ما كتب فى نقد آراء ماركس البالية وكانوا على شيء من العقل لعرفوا أن آراءه ليست صالحة للتطبيق لما فيها من نقص وخلل .

ولا تستطيع هذه الكلمات القصيرة أن تستوعب كل ما يجب أن يقال ، ولهذا سنوجز القول ، لأن للشرح مجالا غير مجال أمثال هذه الكلمات ، وفيما يأتى من الصفحات المعدودة موقفنا من آراء ماركس خاصة ومن الشيوعية عامة .



المادية :

يطلق على مذهب ماركس « الاشتراكية العلمية » تمييزاً لها عن ألوان الاشتراكية الأخرى ، وهو وصف أطلقه عليه أتباعه وأنصاره وليس اصطلاحاً علميا ، وهو ليس مذهب ماركس وحده بل شاركه في البناء والتأسيس إنجلز ، ويقوم على تفسير التطور الاجتماعي والتاريخ تفسيرا ماديا لادخل فيه للعاطفة والشعور والروح ، ولولا أن العقل عندهما من إنتاج المادة أو أسمى إنتاجه لما أبديا نحوه اهتماما مذكورا .

والواقع أن ماركس لم يضع مذهبا ذا قواعد وأصول ، أو فلسفة مبتكرة ، فنظرية «المادية» Materalism قديمة ، والمذهب نسب إليه اعتباطا ، فهو لم يضع له قواعد وأصولا ، بل كل ماوضعه آراء متناثرة مبثوثة فى مواضع متفرقة من كتبه ومقالاته التى جمعت معلوماتها علي هدى من سبقوه من الفلاسفة ، وقام تلامذته وأنصاره وجمعوا مما كتبه أصول المذهب المنسوب إليه .

والماديه ـ كما قلنا ـ قديمة ، وتذهب إلى أن الوجود مادى ، والإحساس به مادى ، والمادة كائن محسوس به وقائم فى حدود الزمان والمكان ، والعقل مجموعة المدركات الحسية ، ومايتنتج عنه

هو من عمل الدماغ المادى ، فهو كالنور من المصباح ، المصباح مادى كالدماغ ، والنور كالعقل ، وهو من المدركات الحسية .

وهـذا المذهب ذو أصول وجـذور متعمقة فى القدم ، فانسان الغاب المغلق الذهن كان يجسد ربه ويجعله مادة منظورة ، وماتزال الشعوب البدائية تتخذ أربابا مجسدة حتى أيامنا هذه ، إلا أن المادية العلمية قد سبق إليها ديمقريطيس ، وزعم أن الوجود نفسه مادى كان من ذرات سابحة فى الفضاء ، وفي الفلسفة الإسلامية ذهب بعض الفلاسفة إلى أن المادة لاتفنى ، وأن الوجود مادى كابن الراوندى فى بعض كتبه عن النبوة ، إلا أن العلماء لم يأخذوا بمذهب المادية منذ قريطيس حتى العصر الذى يسمى فى أوروبا عصر النهضة فانبعثت فيه « المادية » من جديد انبعاثا قويا ، فزعم هوبس أن الوجود مادة ، وأن الأخلاق والعلوم مظهر متحرك لها .

ومصــــدر فلسفة ماركس وإنجلز غير واحد من الفلاسفة والكتاب ، ولهما أساتيذ كثير منهم فورباخ الذى اعترفا بأستاذيته لأنه رفع من شأن المـادية وأنكر الروح والنبوة والأديان فى مؤلفه « حقيقة المسيحية » الذى صنفه سنة ١٨٤١ م .

وبنى ماركس وإنجلز مذهبهما الذى نسب إلى الأول على

« الماديه » ويجعلها ماركس سلما يرقى عليه كى يتسني له إنكار الدين والأخلاق والفكر والفن والفلسفة والثقافة والقانون والسياسة ، ويتسنى له ردها إلى انعكاس الأحوال الاقتصادية ومصالح الطبقات، ويجعل لها «ظروفا» تمتد إلى الجذور المادية للحياة.

ويزعم كارل ماركس أن ارتقاء المجتمع هو تاريخ ارتقاء الانتاج لاغيره ، وتاريخ ارتقاء الإنتاج قائم على استغلال المادة التى تكوّن منها الوجود المشتمل على ظواهر لا نهاية لها تبدو فى أشكال مختلفة تصورها حركة الطبيعة الدائمة ، وهذه الظواهر عند ما يرتبط بعضها ببعض يجرى التطور فى الطبيعة بوساطة الصراع بين الأضداد حيث تتصارع قوى غير متكافئة هى قوة الجديد والقديم والماضي والحاضر ، والزائل والموجود .

قانون ارتقاء المادة هو الأساس الذى يقوم عليه ارتقاء المجتمع الذى يوجده ارتقاء الإنتاج .

والمادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية خارجة عن نطاق العقل ، وإن حياة المجتمع ووجوده المادى هما صاحبا السيادة على الحياة التى يزعم الرأسماليون وأرباب « المصالح » أنها روحية ، وما الحياة الروحية إلا انعكاس ضرورات الخاملين والمغتصبين والرأسماليين ، وأفيون المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات المنحطة المتأخرة .

هذه خلاصة آراء ماركس وانجلز أو خلاصة الماركسية في « المادية » .

وقد تناول أقطاب العلم وأساطين نظرية « المادية » ونقضوا كل أسسها التى أقامتها الماركسية نقضا يقوم على التجربة والبرهان والحقائق .

وإن من الخطأ والجهل وضعف العقل أن يقول إنسان : إن المادة كل شيء ولا شيء غيره ، أو يزعم أن الروح كل شيء ولا شيء غيره ، والقول الذى يتفق فى إثباته البداهة والعلم والتجربة والواقع أن المادة والروح هما الوجود ، ولا يمكن أن يتصور الإنسان أن أحدهما حقيقة والآخر عدم ، انهما ـ معا ـ حقيقة .

وإذا كان أحدنا لايستطيع أن يسمى ابنا له فى عالم الغيب ، فكيف يطلب من العقل أو من الإنسان أن ينكر مسمى معروف الاسم قام على إثبات وجوده العقل والمنطق والضمير ، بل قامت المادة نفسها على إثبات الروح وإن جهل العقل وجهلت المادة كنهه وحقيقته .

إذا كنا نجهل كنه المادة بالنسبة لعنصرها الأصيل الذى تتكون

منه فقمين أن نجهل كنه الروح ، ولكن الجهل بشىء ليس مدعاة لإنكار وجوده .

إن ماركس وأتباعه ومن كانوا على شاكلته اعتنقوا المادية ليتخذوا منها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده ، وقد بنى ماركس مذهبه - كله - على إنكار وجود الله إنكارا شديداً .

وليس بعد هذه « الهلوسة » هلوسة ، فاذا أنكروا وجود الله فلا جرم ينكرون الروح ويزعمون أن الحالات النفسية والتجارب الشعورية مظهر من مظاهر المادة ، ومادام مظهراً من مظاهر المادة فهى مادة .

وبنوا على إنكار وجود الله قواعد جعلوا أساسها إخضاع الفكر والفن والحياة للمادة وفسروا التاريخ وكل حوادثه تفسيرا ماديا ، وعزوا الثورات التي قامت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية التى انعكس منها الدين والحضارة والمدنية والأخلاق وكل موجود .

ويزعم إنجلز أن « العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وليست المادة من إنتاج العقل ، بل العقل من إنتاج المادة ، وعلى حزب العمال ألا يقيم أعماله على مبادىء العقل ، بل يقيسها على الأحوال التى تقرر الحياة المادية للمجتمع لأنها عماد الرقى الاجتماعي ، المادة كل شيء وماعداها عدم » .

ولايبالى الماركسيون بالعلم والحقائق ، فهم مايزالون متمسكين بمثل هذه الآراء التى زيفها العلم وأبان فسادها العلماء ، إن جميع الناس يعرفون أن ٢ + ٢ = ٤ أما عند الماركسية فغير ذلك ، قد يكون الناتج ٥ أو ٦ أو مليون .

ماذا يقول الماركسيون بعد الكشوف العلمية التى تمت بعد هلاك ماركس منذ ثلاث وسبعين عاما حيث تغير نظر العلماء إلى « المادة » وإلى « المادية » وحيرهم إيجاد تفسير مقنع لها أو تعريف جامع مانع يحصرها في حدود تظهر حقيقتها وكنهها ؟.

إن العلم بهذه الطفرة الخيالية خلال نصف القرن الأخير لم يصل إلى حقيقة المادة وكنهها عندما تتحلل إلى عناصرها من الذرات ومازال العلماء حيارى — أمام لغز المادة بعد أن انتهوا علميا إلى أن المادة تتكون من ذرات — يتساءلون : ماالذرة ؟ كيف وجدت ؟ ماعناصرها ؟ ممَّ تتكون هذه العناصر ؟ وماحقيقة الذرة ماكنهها ؟

إن الاجابة على هذه الأسئلة أشد تعقيداً وصعوبة من الاجابة على من يسأل عن الروح وكنهها وماهيتها وحقيقتها ! .

ومع هذا يتشدق الماركسيون بأنهم أحاطوا بحقائق الأرض والسماء .

ويكفي لبيان فسادالماركسية أنها أنكرت وجود الخالق إنكارا

قاطعا ، وماثم جنون أفظع من هذا ، ومع هذا يجد هذا المذهب الباطل الهدام أتباعا فى بعض بلاد المسلمين والعرب .

إنني لاأتصور إنسانا كريم الخلق ، أو إنسانا يرضى أن ينزل إلى درك أسفل من درك الحيوانية ، بل عندى الحيوان أكرم وأعز وأفضل من الذين ينكرون وجود الخالق ، ويزعمون أنهم « تقدميون » ومستقبليون .

إن إنسان الغاب منذ أقدم الأزمنة لايعرف خالقا لأن عقله كان محدودا جد محدود ، فهؤلاء التقدميون المستقبليون رجعوا إلى الوراء ملايين السنين عند ما أنكروا وجود الخالق ، فهم الرجعيون حقا ، لأنهم رجعوا إلى الوراء حيث الظلمة القاتمة .

ولكن من يجرؤ على إنكار الخالق يجرؤ أكثر أن يصف نفسه بالعلم والتقدم وهو أبعدما يكون عن العلم وأشدما يكون تأخرا .

إنهم لايستحون ، ومن لم يستح يصنع مايشاء دون خجل أو حياء .

رأس المال والقيم :

اطلع كارل ماركس على آراء بعض فلاسفة الاقتصاد والمال من أصحاب النظرية المادية وخصوم الرأسمالية وخرج منها برأيه الذى أضاف اليه من نفسه وملابسات حياته فزعم مزاعم شتى ، منها : أن رأس المال قسمان : قسم ثابت يتجلى فى الآلات ، ومتغير وهو الذى يظهر فى صورة الأجور والقيمة التى تعطى للعامل .

ويعتبر رأس المال — عنده — عقيما لأنه — كما يرى — أن رأس المال بطبيعته غير منتج . إنما المنتج هو العمل ، والعمل هو العامل نفسه ، لأن العمل ينتفي بانتفاء العامل .

ويتبطن كلامه كثير من المغالطة ، فرأس المال ليس عقيما ، لأن العقيم لا يقبل الزيادة ولا يعتوره النقص ، ورأس المال قابل لأن يزيد وخاضع للنقص فى كلا قسميه ، فالآلة تتآكل ، والعامل قد يقوى وقد يضعف .

ثم إن رأس المال هو المنتج الأساسى لأنه بغيره ما كان للعامل مجال للعمل فالإنتاج ، وإذا فرضنا أن رأس المال غير منتج ، فان العامل — ولاشك — يصبح تبعاً لرأس المال غير منتج .

وهــذه سفسطة تشبه رأى من يزعم أن الكبير أصل الصغير لأن البذرة الصغيرة من الشجرة الكبيرة أو ان الصغير أصل الكبير لأن الشجرة من البذر .

إن رأس المال فى طبيعته وحقيقته منتج وغير عقيم ، والعامل منتج أيضا ، وكلاهما جزء متم للآخر .

وبقصد ماركس من رأيه فى رأس المال ووصفه بالعقم القضاء على الرأسماليـة ليتسنى له — كما يزعم — القضاء على الاحتكار والاستغلال وأكل حقوق العمال .

إن رأس المال يسلب العامل أجرعمله دون أن يكون له حق ، والأجر لايعطى إلا مقابل العمل الذى ينتجه العامل ، فبأى حق يستبيح رأس المال مقاسمة العمل — أوالعامل — أجره وهو لم يعمل شيئا ، فالحاجة التى ينتجها العامل فى وقت ما تساوى الزمن كما يساوى رقم ١ فى كفة رقم ١ فى الكفة الأخرى ، إلا أن الأجر الذى يأخذه العامل أقل بكثير مما يستحقه ، فهو يستحق على الزمن الذى أنفقه ١٠٠ مثلا كقيمة له/أو يستحق على الإنتاج ١٠٠ مثلا ولكنه لا يأخذ إلا ٥٠ أو ٦٠ أو ٧٠ فأين يذهب مايقى ؟ يأخذه رأس المـال أو صاحبه . فبأى حق اسـتباح لنفسه أجر غيره ؟

أما كان العامل أجدر بالحصول على حقه، من الرأسمالى المستغل النهاب .

تلك أغاليط ماركس أو مغالطاته يريد أن يوغر صدور العمال حتي يحاربوا رأس المال، ويتناسى أن فائض القيمة أو فرق الأجر لا يأخذه رأس المال اعتباطا وانتهابا ، بل يأخذ حقه لأنه هو سبب إيجاد العمل للعامل أو أحد طرفى الإنتاج ، ولولاه لما وجد العامل سبيلا إلي العمل .

ويتناسى ماركس أجر الخبرة الموجهة للعامل الذى يستحقه رأس المال ، فالخبرة لم تأت بدون ثمن أو عمل ، بل هي ثمرة تجارب علمية وعملية وزمنية ، وهو مستحق عليها أجراً يأخذه من فائض القيمة ، لأنه هو والعامل شريكان ، لكل منهما نسبة فى القيمة ، للعامل جزء منها هو أجره ولرأس المال جزء منها هو أجر آلاته وخبرته وتجاربه وإشرافه وإتاحة الفرصة للعمل أو العامل .

وإذا أعطينا المائة كلها قيمة للعمل الذى هو العامل ، فأين أجر استهلاك الآلة ومايلزمها من وقود ونفقات لتبقى صالحة للانتاج ؟ وأين أجر الفرصه التى أتاحها رأس المال ؟ وأين أجر الخدمة التى تظهر السلعة وتوجد لها المحتاج الذى يشتريها ؟ وأين

أجر فهم قانون العرض والطلب ؟ وأين أجر الاختراع ؟ وأين أجر استثمار المال .

إن السلعة لاقدم لها تمشى بها إلى السوق ، وهى لا تستطيع أن تبيع نفسها ، بل لابد أن يتولى رأس المال نقلها إلى السوق ، ويتولى عرضها على الشارى، والسلعة لم تتكون من نفسها ، وليس العامل وحده هو الذى أوجدها ، بل سبقه عقل فكر وابتكر ثم أحسن التوجيه ، وأتاح الفرصة ، وأوجد السوق ، وحشد لها من الجهود والناس جيشا يتولون أمرها حتى تباع .

وكل هذه « العملية » الطويلة العريضة لاتأتى عفوا وبدون أجر، فكيف نسلب حقوق هذه «العملية» ونعطيها للعامل وحده .

إن القيمة التى يستحقها العمل لم تأت من يده وحده، بل شاركه فيه رأس المال فهو جدير أن يحتسب من القيمة أجره تلقاء ما بذل .

ثم إن العامل شريك سالم الخسارة ، يأخذ أجر عمله ولا يسأل عن رأس المال أكان رابحا أو خاسرا .

هذه مغالطات ماركس أو أغاليطه ، أما مزاعم الشيوعية حيال الأجر فكثيرة أهمها :

أنها زعمت أن من فى حوزتها من العمال يحصل على أجر يسد حاجته

وعند ما طبقت المذهب تخلت عن هـذا لأنه مستحيل التطبيق ، واضطرت أن تمشى على الطريق وهو أن يحصل الفرد من الأجر على قدر ما ينتج لا على قدر ما يحتاج .

ومهما يكن فان الشيوعية قد استطاعت القضاء على الرأسمالية فى الاتحاد السوفيتى ، ولكنها استبدلت بها رأسمالية من نوع بالغ السوء والشر ، إلا أن « اختفاء الرأسمالية فى روسيا لم يعد بالنفع والخير على العمال ولم تمنحهم الحرية ، ولتدركْ الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفيتى كل الإدراك لهذه الحقيقة المرة ألا وهى أن فى روسيا شر أنواع الرأسمالية وأسوأها (١) » .

---

(١) اندريه جيد .

الطبقة العاملة

زعم ماركس وأتباعه أن الشيوعية تعني بالطبقة العاملة وتعمل لإسعادها وتحريرها من الظلم الاجتماعى والجور الاقتصادى ، وتأمينها من الخوف والجوع والمرض ، ورفع مستواها المعاشى والخلقى ، وإعادة الحرية إليها ، ومساواتها بالسادة الحاكمين، ورد حقوقها المسلوبة منها إليها .

ولهذا زعم أن الشيوعية تروج فى البيئات ذات الصناعات الكبرى التي يحتشد فى صعيدها آلاف العمال ، لأن الشيوعية تشعرهم بما يلاقون من ظلم واستعباد من الرأسمالية التى لا تعرف الرحمة ولا العدل .

لم يصح تكهن ماركس هذا لأن الشيوعية لم ترج إلا فى بلاد الصناعات المتأخرة كروسيا التي لم تكن معروفة بالصناعات الكبرى ، كما أن الشيوعية لم تنجز ما وعدت به الطبقة العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية ، وحشدتها للعمل ، وسخرتهم للانتاج دون أن تحفل بشىء إلا أن يكون الناس آلة تنتج ، و « عقيدة الشيوعية أن المجتمع يمكن تحويل أفراده إلى أدوات أو ماكينات » (١) وحولت هى أفراد مجتمعها إلى آلات .

---

(١) يوميات أندريه جيد .

ولم يستجب من طبقات العمال الماركسية فى غير روسيا التى استعان البلاشفة فيها بقوة الحديد والنار على تثبيت قواعدها ودعائمها ، وقد صدق أندريه جيد عندما وصف روسيا بعد رجوعه منها بقوله : « روسيا دولة بوليسية ، والكرملين لا يتوسل إلى إخضاع الناس بقوة البوليس والسجن وحدهما بل بقوة أكبر من ذلك ، بتلك القوة الملازمة لملكية كل عمل اقتصادى والاستيلاء على إدارته » .

ولو كان في مذهب الشيوعية « الفردوس » لاستجاب له كل الطبقات العاملة فى العالم ، أو لاستجاب له العمال فى بعض البلاد ، ولكن لم يستجيبوا لأنهم عرفوا أن الشيوعية تجعل من بني الإنسان قطعانا يسيرها سوط الراعى الغشوم ، وتمحو الشخصية الإنسانية وتذيبها فى الدولة ، وتسلب الفرد حريته ، وتصب الآدميين فى قوالب هم يحددونها حتى يسهل عليهم قيادة الجماعات والجماهير .

ولا يستطيع أى عبد الماركسية أن يتبجح ويكابر ويزعم أن العمال فى أمريكا أو بريطانيا أقل مستوى فى الفكر والفهم والمعيشة من زملائهم فى روسيا ، بل العمال فى الغرب — وعلى الأخص فى

مريكا وبريطانيا — أرفع مستوى من العمال فى الاتحاد السوفيتى ، بل لا نسبة بين هؤلاء وأولئك فى شىء .

يقول إجنازيوسيلونى أحد مؤسسى الحزب الشيوعي فى إيطاليا وأحد أقطاب الشيوعيين الذين رضيت عنهم موسكو ورفعت مكانهم عليا ، يقول عندما زار موسكو وقابله فيها عامل إيطالى اكتسب الجنسية الروسية لاخلاصه لمبادىء ماركس ولينين وستالين : « جاءني هذا العامل يشكو من الأحوال المهينة التى تحيط بحياة العمال فى المصنع الذى يشتغل فيه بموسكو » وقال : « إنه لا يرى بأسا من تحمل النقص فى الأغذية والمواد الأخرى ، ولكن لا يفهم لماذا يبقي العمال تحت رحمة إدارة المصنع ، وليس لهم أحد يحميهم أو يرعى حقوقهم ! ولماذا يكون حالهم أسوأ من حال زملائهم فى البلاد الرأسمالية ، ويسأل هذا العامل فى أسى : أحقا أن أكثر حقوق العمال التى سمع عنها ووصفت له فى أزهى الصور مجرد أقوال وكلمات نظرية ؟ » .

ولما وقف سيلونى على حقائق الشيوعية وعلى ما تلاقى الطبقة العاملة من ذل وهوان وتعذيب وتجويع وسلب للحرية خرج على الشيوعية وكفر بها واشمأز منها ومقتها ، وحذر الطبقة العاملة فى كل بلاد العالم أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية ومفترياتها .

ويصف أندريه جيد الذى زار بصحبته كبار موظفى الخارجية الروسية المصانع والمزارع فى كثير من بلدان روسيا ، يصف حياة العمال الذين عاشرهم وجلس اليهم ورآهم وهم يعملون فيقول : « إن العمال كانوا يعيشون فى أبشع صنوف الفاقة والذلة ، وجماعة « المخبرين » الذين خانوا زملاءهم فى السجن والعمل هم أصحاب الحظوة والامتياز فى المستعمرات النموذجية وغيرها ، ولهم السلطان المطلق »

ويهزأ أندريه جيد بروسيا فيقول: « إن ما أعجبه فيها أنها ألغت تلك الكلمة : بعرق جبينك تأكل خبزك ، وليس صحيحا أن من لا يعمل لا يأكل » .

ويحذر جيد كل الطبقات العاملة في كل أقطار الأرض من أن ينخدعوا بأكاذيب الشيوعية التى قضت على إنسانية الطبقة العاملة فى بلادها وسلبته كل حقوقه

ولا يستطيع أى عبد للماركسية أن ينكر أن نقابات العمال حمت الطبقة العاملة ومنحته من الحقوق والأجور والامتيازات مالم يكن يحلم به العامل فى روسيا ، بل إن العامل في امريكا وفي بريطانيا يتمتع بحريته الشخصية أكثر مما يتمتع به سادة الكرملين .

ومن الحقائق التى عرفها العالم عن الشيوعية وما أعدت للطبقة العاملة فان بعض عبيد الماركسية في الشرق يصدق الأكذوبة الضخمة التى أطلقها ماركس وخلفاؤه من أن الشيوعية منحت العامل حق السيادة، وأنه السيد الآمر الناهى، وأنها تعد كل طبقات العالم العاملة بالسيادة متى تبلشفت، وتدفع الصفاقة والجهالة والظلمة عبيد الماركسية فيزعمون أن فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة خارج الاتحاد السوفيتى يعود إلي الشيوعية التى حملت راية الدعوة التى تطالب برفع مستوى العمال.

إنهم لايستحون فيقولون مايشاءون دون مبالاة، وإلا فكيف يعللون قيام دعوات إلي الاصلاح ورفع مستوى العمال قبل أن تعرف الشيوعية؟ وأن كثيرا من البلدان كان العمال فيها يعيشون في هناءة ورخاء قبل الشيوعية وبعدها.

وفضل ارتفاع مستوى العمال فى البلاد الأخرى ليس مرده إلي الشيوعية ولكن إلي انتشار التعليم وضرورات الحياة التى كثرت مطالب العامل فيها.

إن المصانع تنتج ملايين القطع من حاجات الانسان، وكل إنسان محتاج الى كثير مما أصبح ضرورة لازمة له، فاذا لم يرتفع مستوى

معاشه فان تلك القطع تبور فى الأسواق وعند بوارها تقفل المصانع أبوابها وتقف عن الانتاج والعمل ، فهى – إذن – مضطرة أن ترفع أجور العامل حتى تمكنه من الشراء ليضمن المصنع دوام عمله .

ثم إن القوانين الديمقراطية فى البلاد الديمقراطية تقوم بحراسة الفرد وإعطائه ماله من حقوق ، ومن هذه الحقوق الطبيعية أن يكون غذاؤه حسنا ومسكنه صحيا وملابسه نظيفة وحريته مكفولة ، فاذا ارتفع مستواه فان ذلك ليس من فضل الشيوعية ، ثم إن قانون العرض والطلب مما يهيئ الفرصة للطبقة العاملة .

وإذا أخذنا بزعم الشيوعية وعبيدها وعزونا – كما يريدون – فضل ارتفاع مستوى الطبقة العاملة إلي الشيوعية فان ذلك يتيح للشيطان أن يتبجح ويفتخر بأن الفضل له وحده فى وجود الرسل والهداة والمصلحين والمشرعين وبناء المساجد والبيع والصلوات ، وفى وجود الأخلاق الفاضلة ، وفى سمو الإنسانية لأن ذلك ما كان ذا قيمة لو لم يكن هو موجوداً ، ولولاه ما عرفت الإنسانية قيمة الخير والفضيلة والسلام والحلال والبر والمعروف .

إذا جاز للشيطان أن يفخر بشيء من هذا فان للشيوعية أن تدعى المفاخر والمزايا .

الديمقراطية :

أقرب تفسير للديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه حكما يعود النفع فيه إلي كل فرد منه بحيث تكون الحرية مكفولة ، والمساواة قائمة والعدالة سائدة ، وفرصة العمل والعيش متـــاحة ، والديمقراطية ـ بعد ـ أن يتمتع كل فرد بكافة ماله من حقوق مقرونا بأداء ماعليه من واجب نحو ربه ، ثم مجتمعه ونفسه وكل من يحيط به .

فهل الشيوعية تبنى قواعد حكمها على الديمقراطية ؟ وهل الشيوعى يتمتع بمزاياها ؟ .

إن الديمقراطية — أو الديمقراطية الشعبية كما يسمون — لا وجود لها فى مجتمع الشيوعية ، وكيف توجد وهي تزعم أن الحرية — أولى مزايا الديمقراطية — تشغل الأفراد والجماعات عن الاهتمام بما يُصَب عليهم من ظلم اجتماعى وجور اقتصادى ، ودستور الاتحاد السوفيتى نفسه يزعم أن الحرية ليست ذات قيمة كبيرة لأنها تلهي الجماعات عن الظلم الاقتصادى . ويجب أن تفني حرية الفرد فى حرية الجماعة .

وبهذه المنطق قضت على الحرية وعلى الديمقراطية ، وزعمت بعد

هذا أنها حققت المساواة ، والواقع أنها حققتها على منطق الشيوعين الخاص ، وما أدرى كيف يجترئون فيسمون اشتراك الناس فى الظلم مساواة ، إنها حققتها باستصفاء حرية الإنسان ، فهى تعطى الفرد الطعام تلقاء أخذ حريته ، ومن أراد الحرية فلا طعام ولا حياة .

المساواة :

وما هذه المساواة التى تجمع كل الأفراد فى المصيبة والبلاء ؟

إن الشيوعية تزعم أنها تعمل للمساواة ، فالحقوق التى لهذا هى نفسها لذاك ، والواجب الذى يؤديه زيد هو نفسه الذى يؤديه عمرو ، وجعلت أبواق دعايتها تردد أنها المذهب المختار الذى يضمن المساواة ، ويضمن – على الخصوص – المساواة الاقتصادية ، وهو قول مردود لايتبطن شيئا من الحق .

ولقد تخيل ستالين سنة ١٩٣٤ م خصوما فى داخل الاتحاد السوفيتى نددوا بالشيوعية فرد عليهم قائلا : « إن هؤلاء الخصوم يحسبون أن الشيوعية تقضى بالمساواة فى مطالب العيش لكل فرد ، إنه رأى سخيف يصدر من فكر مشتت ، إن المساواة التي أرادوها هى التي أضرت بصناعاتنا أعظم الضرر » .

ولانجد فى الشيوعية مساواة أمام القانون ، ولا مساواة فى الحقوق ، وقد زعمت أنها قامت للقضاء على الطبقات حتي لايضم المجتمع إلاطبقة واحدة لاتفاضل بين أفرادها فى الحقوق والواجبات والأجور ، ونفذت ذلك بالقوة ، ولكنها لم تستطع أن تستمر ، لأن قوة الممكن كانت أقوى من نظرياتها الخيالية ورغباتها الجنونية ، وعندئذ تراجعت وأخذت بنظام الطبقات المتفاوتة فى الحقوق والواجبات والأجور ، وأصبح فى روسيا بضع طبقات هي : طبقة الحكام ، وطبقة المفكرين ، وطبقة الصناع ، وطبقة الزراع ، وطبقة المسخرين .

والمسخرون هم المساكين المغضوب عليهم ، وعددهم حوالى عُشر سكان الاتحاد ، ونصيبهم من الدخل ٣ ٪ أما طبقة المفكرين فاعلى الطبقات أجرا ، وعددها ١٣ ٪ من السكان ونصيبهم من الدخل ٣٢ ٪ ويدخل في هذه الطبقة الجواسيس وكل من يخدم الماركسية أو الحكام .

وزعمت الشيوعية أنها قضت على الألقاب رغبة فى المساواة بين الناس ، ثم عادت من جديد واعترفت بها ، فأصبح فى الاتحاد الألقاب والرتب بأفظع مما كان عليه من قبل .

الحرية :

والحرية بجميع أنواعها غير موجودة، ومن يحاول أن يلذ بأتفه أنواعها فقد حياته، بل لا تستطيع فى بلد الشيوعيين أن تقول : إن «ماركونى» مخترع اللاسلكى، لأن الدولة تزعم أن مخترعه الأول الأصيل هو الكسندر بوبوف، وما ماركونى إلا لص دنىء، ونسبتك الشىء إلى صاحبه جريمة يقع على مقترفها أقسى العقوبة إذا كان من تنسبه إليه غير روسي شيوعى، وفيما سبق من القول فى هذه الكلمة وفيما يأتى مصداق ما نذهب إليه. نعم، إن الحرية بجميع أنواعها غير موجودة.

الحرية الاقتصادية :

فالحرية الاقتصادية لا تجد فى الثورة الروسية نصيرا، بل هى مفقودة فقدانا تاما، لأن كل وسائل الإنتاج سواء أكانت مصنعاً أم مزرعة أم أى مرفق من المرافق أو أى مصدر من مصادر الثروة ملك للدولة، ويقضي تملك الدولة لكل شىء قل أو كثر على التنافس الذى هو روح الحرية الاقتصادية، ويتبع هذا انتفاء اختلاف القيمة الناشىء من التنافس الذي لا تملكه جماعة أو شركة

أو فرد ، فالفرد لا وجود له ولا حرية عنده لأنه استحال من إنسان إلى « رقم » هو « عمل » فى صورة فرد آدمى ، وهو أجير لدى الدولة ، وأجره طعامه وسكنه ، ثم إن الرأسمالية مفقودة بالنسبه إلى الأفراد والجماعات ، وموجودة بالنسبة للدولة ، لأنها استبدلت بالرأسمالية المعروفة رأسمالية كبرى هي رأسمالية الدولة ، وإلغاء الملكية الفردية ، والقضاء على التجارة الداخلية ، وتأميم جميع المؤسسات ، والاستيلاء على أموال الأمة ، واتباع نظام السلع ، واحتكار الدولة للتجارة الخارجية قضت على الحرية الاقتصادية والتعامل الاقتصادى .

حرية الفكر :

وحرية الفكر آخر ما يمكن أن يعيش على صعيد الشيوعية ، فالمفكر المستقل غير موجود إطلاقا ، والنقد معدوم ، والمعارضة مفقودة ، والرأى العام لا أثر له ، فالصحافة تحت سيطرة الحزب ، ولا تسيرها قوة الشعب ، بل تخضع لحفنة من الحكام الطغاة يوجهونها حسب مصالحهم الشخصية وأهوائهم الباطلة ، « بل إن مجرد تفكير المرء فى نفسه اتهام له بأنه ضد الثورة وجزاؤه النفى إلى سيبريا(١) » .

---

(١) كتاب « المعبود الذى هوى » ص ٢٤٢ .

ولم يؤلف فى روسيا منذ سيطرت عليها الشيوعية حتى الآن كتاب واحد فى نقدها ، بل لم ينشر قط مقال فى صحفها ينقد الماركسية ، ولا يباح دخول كتاب أو رسالة أو صحيفة تنقد الشيوعية والشيوعيين .

بل جزاء كل من يوجد عنده القرآن أو الإنجيل أو كلمة فى نقد المذهب الشيوعى الموت أو النفي إلى مجاهل سيبريا ، بل لا يباح للأفراد أن يطلعوا فى المكتبات على ما يخالف الشيوعية أو يناوئها ، ومن يجرؤ على طلب كتاب كهذا فان البوليس السرى المنتشر فى كل مكان سيلقيه إلى النار .

وكل ما أنتجته المطابع الروسية خلال سيطرة الشيوعية من فن أو أدب أو قصة موسوم بطابع الشيوعية ، حتى العلم نفسه طبعوه بطابعهم ، فزعم رئيس مجمع العلوم الروسي الأستاذ فافيلوف أن العلم السوفيتي ليس فرعا من العلم العالمي ، بل هو علم منعزل مختلف بطبيعته ونطاقه ، ومزيته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس فلسفي واضح ، وهو الأساس الذى وضعه ماركس وإنجلز ولينين وستالين » .

حتى الطب والجراحة والرياضيات والفلك وعلم النفس وسائر

العلوم كلها موسومة بطابع الشيوعية ، ويراد من هذا أن يقنعوا الشعب الروسي بأن كل علومه منبثقة من الماركسية دون غيرها ، والعلم الروسى هو العلم الصحيح أما غيره فهراء .

وكثيرا ما نسمع عن انتحار أديب روسى ، ويعزون انتحاره إلى أسباب ملفقة ، وقد انتحر عشرات الأدباء فى روسيا ؛ بعضهم من الرعيل الأول فيهـا ، وسبب انتحارهم معروف وليس سوى الخوف من الطغيان والقتل بالتعذيب والإرهاب .

لماذا لم ينتحر زملاؤهم فى العالم غير الشيوعي ؟ وإذا كانت الأزمات النفسية سبب الانتحار فذلك كاف للدلالة على مايلاقى الفكر وأصحابه من الشيوعية حتى يفضلوا الموت على الحياة .

وليعلم القارئ مدى مايتمتع به الفرد الروسى من حرية ننقل له جملة من كتاب « لاشئ غير الأغلال » لمؤلفه نيكوليفسكى ؛ قال : « إن فى روسيا أربعة عشر مليونا فرضت عليهم السخرة ويحيون كالبهائم فى حظائر تحيط بها حواجز مسيجة بالأسلاك الشائكة ، محروسة حراسة قوية بجنود يرابطون فى أبراج عالية لايغفلون ثانية عن المراقبة ، وزودت الأبراج بأنوار كاشفة قوية ، ويطوف آلاف الكلاب الضارية خارج الأسلاك ، فإذا نجا هارب من رصاص

الحرس لم ينج من مطاردة الكلاب تفرى لحمه ، وهم يقومون بأشق الأعمال التى لايطيقها بشر ، وهؤلاء هم رجال الدين وأحرار الفكر والأدباء وكل معارضى الشيوعية والمشتبه فى أمرهم » .

هذه هى الحرية فى فردوس الشيوعية الكاذب ، وخلاصة القول أن حرية الفكر فى روسيا لا وجود لها إطلاقا .

حرية العامل .

وحرية العامل كباقى الحريات خرافة ووهم ، فالعامل مستعبد لايستطيع أن يتبرم من مصنعه ، لأن مجرد التبرم يعتبر تمردا عقابه السجن أو النفي أو التعذيب أو الموت ، وإذاتأخر عامل عن موعد العمل نصف ساعة فانه يساق إلى النيابة لينال عقابه أيا كان العذر .

ولا يملك العامل أقل جزء من الحرية فى عمله أو مصنعه أوفى المزرعة ، لاحريته الشخصية مكفولة ، ولا حرية فكره مكفولة ، ولا حرية عمله مكفولة ، ولا يملك الانتقال من مكان إلى مكان إلا إذا أرادت الدولة ، فقد صدر قانون سنة ١٩٣٠ م يقضي بربط العمال بمصانعهم وألا يغادروها إلا باذن خاص ، ولابد للعامل أن يطيع طاعة عمياء كأنه جندى فى الكتيبة لا حق له فى الخروج ولا السؤال . يؤمر فيطيع ، وليس من حقه الاختيار والتفضيل .

وصدر قانون آخر سنة ١٩٣٩ م يقضى بعقاب كل عامل يتأخر عن عمله نصف ساعة ، وعقابه — كما ينص القانون — السجن أو التسخير .

ويعاقب القانون كل من يعطف على عامل تأخر عن موعد العمل ثلث ساعة كأن لم يبلغ أو ستر أمره أو تغاضى عنه أقسى عقاب ، ويسمي القانون العمال المتأخرين دقائق عن الموعد « مجرمي التأخير » والعاطفين عليهم « مجرمي التستير » .

ولا يعطى العامل إجازة إلا نادرا ، وإذا أعطيها فلابد أن يكون انتقاله معلوما معروفا وإلا فالعقاب الأليم .

حرية الانتقال .

وحرية الانتقال غير مكفولة لأحد حتى أعضاء الكرملين ، ولا يباح لروسى أن يتمتع برحلة ، وإذا منح حق رحلة فلابد أن تكون فى داخل الاتحاد وتحت الرقابة ، أما الخارج فلا ، إلا من تبعثه الدولة فى عمل رسمى .

وصدر فى روسيا قانون يسمى « قانون نظام البطاقات » يجبر كل

إنسان أن يحصل على بطاقة معدة له يكتب فيها كل مايهم البوليس أن يعرفه حتى الذوق والطعام والشراب واللباس .

الحرية الشخصية .

والحرية الشخصية معدومة ، وهى تموت بطبيعة الحال فى بيئة تسلب الفرد حرية التفكير والقول والعمل والرأى والانتقال ، وتجعل للبوليس السياسى السلطان المطلق يقتل من يشاء دون أن يطالب بابداء الأسباب ، وللقاضي أن يحكم باعدام أى فرد بحجة أنه خطر على الأمن ولو لم يقم دليل على الاتهام ولو لم يكن خطرا .

ويصور أندريه جيد الحرية بقوله : « زرت مركزا جماعيا نموذجيا فى الاتحاد السوفيتى ودخلت عديدا من البيوت فيه ، وليتنى أستطيع أن أصور لكم أثر الألم البليغ الذى تركته فى نفسى زيارته وأعنى به انتفاء الحرية الشخصية كل الانتفاء والخلو التام من مظاهر الاستقلال الذاتى ، فقطع الأثاث البالي القبيح وصورة ستالين فى كل بيت ، ويصح تبادل بيت بآخر دون أن يشعر الساكن بأى تغيير ، هذا البيت بأثاثه هو البيت الثانى نفسه فى كل شئ » .

حرية الاعتقاد والعبادة

أما حرية الاعتقاد والعبادة فمثل ماسبق من الحريات ، ويظهر ذلك من موقف الشيوعيـة من الأديان جميعها ومن الأخـلاق الفاضلة كلها .

عرفت الشيوعيـة أن الحرب التى تهددها وتمحوها من الوجود هي الأديان وعلى الأخص دين الإسلام ، لأنه الدين الذى يعنى بانشاء المجتمعات وحراسة الجماعات والأفراد ، ويضع النظم والقوانين ويقدم الحلول الصحيحة لكل مايشغل بال العالم من مشاكل .

عرفت الشيوعية أن الخطر الوحيد الذى يهددها هو الدين فأنكرت وجود الله أشد الإنكار ، لأن الأديان الصحيحة تقوم على إثبات الوحدانية لله والإيمان بوجوده ، وأنكرت الدين حتى يتسنى لها إنكار الخالق ، وزعم ماركس : « أنه لا إله إلا المادة ، والمادة كل شيء ، والحياة هى المادة » وقال إنجلز : لامكان لوجود الله » وقال هوبز : لاوجود لله » وقال ماركس : « رسالة الطبقة العاملة القضاء على الدين والمتدينين والداعين اليه » وأيده الحزب الشيوعى بقوله : « لايستطيع حزبنا أن يكون محايدا للدين ، لأن الدين ينافى الشيوعية والشيوعية تنافيه » .

فماقول الطبقات العاملة ؟ أتقبل أن تحارب الدين الذى يحمى كل فرد سواء أكان حاكما أو محكوما من كل أنواع الظلم ؟

ثم لايكتفي ماركس بانكار الله وإلغاء الدين فى ضمير الإنسان وحده ، بل طلب أن يستعين بالانكار فى دراسة كل مايريد دراسته فزعم قائلا : « إن امتداد إنكار وجود الله إلى دراسة الحياة الاجتماعية يكسبنا نتائج هامة إذ يفسر المجتمع ويرد الحوادث إلى أسبابها المادية البعيدة عما يسميه الجهلاء الإرادة الإلهية أو الإله » .

عرف الشيوعيون أن الدين يحض على الخير والرحمة والسلام ، ويبني المجتمع على أسس الفضيلة والتعاون والعمل الصالح ، فحاربوه وقضوا عليه فى الربوع التي أخضعوها لحكمهم ، ووصفوه بأنه « أفيون الشعوب » وأنه متكأ العجزة القاعدين ، وألعوبة الرأسماليين والطامعين اتخذوه للسيطرة على الطبقة العاملة والتحكم فى العامة .

وبدأت الثورة الروسية بحملة على رجال الدين واستأصلتهم ولم ينج منهم إلا عدد جد يسير حرم عليه الظهور فى المجتمعات ، وأغلقت بيوت العبادة وأحالتها إلى حظائر وملاعب ومواخير مبالغة فى الإزراء والتحقير والتنكيل .

ولم يكفهم هذا ولا غيره فأقاموا متاحف للالحاد وألفوا جمعيات لادينية لمحاربة الأديان وإظهارها على غير حقيقتها تنفيراً للناس منها ، وماكانوا فى حاجة إلى هذا الأسلوب من التنفير بعد أن أجبروا الناس على الكفر والإلحاد ، وأخرجوهم من الدين كرها وقسراً .

قضوا على الدين لأن الدين يوجد المجتمع الفاضل ويحرسه ، ويزود الانسان بأحسن الخلائق وأنبل الصفات ، والدين والشيوعية خصمان لا يجتمعان على صعيد مهما كان الأمر ، ولا يمكن أن يتهادنا لحظة مهما كانت الدواعى والأسباب .

قضوا على الدين لأن الشيوعية لا تجد متنفسا لها إذا كان الحكم للدين . ولهذا قضوا عليه . ويزعم العبيد المسخرون المأجورون وغير المأجورين أن الشيوعية تترك للفرد حرية العقيدة ، كل إنسان حر فى اعتناق أى دين يعجبه ، وكل إنسان حر أن يكفر ويسب الله والأديان ، ويكذب هؤلاء معبودهم ستالين — الذى هوى على أم رأسه — ستالين الذى أذاع بيانا فى الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٤٣ م عندما أراد أن يتملق رجال الدين فى العالم فقال : « إن الحزب الشيوعي لا يسعه بعد مابدا من رجال الدين فى صفوف القتال من وطنية ألا يحرم الروسيين بعد الآن من حرية الضمير وحرية الاعتقاد » .

إن ستالين يعترف بأن الروسيين كان محرما عليهم حرية الضمير وحرية الاعتقاد ، ولم يمنحهم هذه الحرية إلا منذ أعوام قبل هلاكه .

ولقد نشر بيان ستالين فى جرائده الرسمية وأذاعته محاط إذاعته ومحاط العالم الإذاعية فى كل مكان ، وهي تدل دلالة واضحة على أن حرية الاعتقاد لم تكن مكفولة فى روسيا ، ولم تبح إلا فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ م عندما كان الألمان يهددون معاقل الشيوعيين .

ولم يستطع الأفراد الإفادة من هذه الحرية لأن ستالين لم يعطها صادقا ، بل كان مخادعا كاذبا ، فهو عندما أباح من ناحية فتح بعض الكنائس والمساجد ورأى إقبال الروسيين خشي أن تستيقظ الروح الدينية ويرفع الخطر رأسه على الماركسية فحاربها بأن جعل عبيده الملاحدة يقطعون الأديان تقطيعاً وينقدونها ويكرهون الناس فيها ويختلقون للرسل تهاهم منها براء .

وعندما يشعر الفرد - أى فرد وكل فرد — فى روسيا أن الدولة تكره شيئا ولو بعض الكره ، أولا ترضى عن شىء يبتعد الفرد الفرد المسكين فراراً بنفسه ، وبذلك خلت بيوت الله من المصلين

إلا الجواسيس الذين كانوا يترددون عليها يرصدون من صدقوا بيان ستالين وانخدعوا بقوله .

ولا تجد في روسيا كلها مدرسة واحدة — نعم واحدة — لتعليم المسيحية أو الإسلام ، ولا تجد فيها من يؤدى فرائض الله علانية ، بل كل مافيها من آثار الدين أن تجد فيها بعض الشيوخ الطاعنين فى السن يدينون بالإسلام أو المسيحية وأبقت عليهم الشيوعية لا إيمانا منها بحرية الاعتقاد أو رحمة بأولئك المساكين ، بل أبقت عليهم للافادة منهم عندما تريد أن تتظاهر بأن الشيوعية تبيح حرية الاعتقاد جرا لمغنم أو دفعا لضر .

وأولئك الشيوخ المساكين ليسوا خطرا على الشيوعية .

ومن هذا الرصيد المتبقي من المتدينين تنفق الشيوعية بتقتير عندما يعن لها أن تخدع الناس باسم حرية الاعتقاد ، فتختار منه من تختار وتبعثه للحج إلى مكة أو القدس ، ومن تأذن لهم لايتجاوزون المائة من أبناء جميع الأديان .

وليعلم القارئ الفارق بين عهد الشيوعية وما قبله من العهود فى هذا السبيل نذكر الحقائق المشهودة منا نحن أبناء مكة المكرمة — حرسها الله — والحقائق المستقاة من الوثائق الحكومية .

كان مجموع ما يأتى كل سنة إلى مكة المكرمة للحج من الروسيا وبخارى والقرم وغيرها من البلدان التى احتلتها الشيوعية حوالى ثمانين ألفا مع وعورة الطريق وسوء « المواصلات » وعندما سيطرت الشيوعية لم يقدم حاج واحد ، فانهد ركن الإسلام الخامس، ومنذ بضع سنين أذنت للحج ، ولكن عدد من حجوا لا يتجاوزون الأربعين وكلهم شيخ كبَّار .

ولا تجد فى كل البلدان التى تحكمها الشيوعية شابا يعتنق الإسلام أو المسيحية ، لأنها ربته ونشأته على الكفر والإلحاد ، وقد سأل على أمين أحد صاحبى دار أخبار اليوم شابة روسية عندما زار موسكو منذ بضعة شهور عن الله ؛ فسألته : وما الله ؟ إننا لا نعرفه ولا نسمع به .

وهكذا أعدت الشيوعية الشباب الروسى .

ولم تقف جهودها التى أثمرت القضاء على الدين بعد أن تم لها ما أرادت ، بل والت بذلها ، فاستصفت الأوقاف الدينية ، وحرمت التعليم الدينى ، ورصدت العقاب بالموت لمن يحلف بالله ، وأصدرت مجلة سمتها « لا دين » وزعتها فى كل مدينة وقرية بالاتحاد ، وأسست « اتحاد الإلحاد » وبلغت فروعه سنة ١٩٣٥ م سبعين ألف فرع تضم عشرات الملايين .

وفى الدستور السوفيتى الذى صدر سنة ١٩٣٢ م نص على وجوب القضاء على الأديان كما صدر في مايو سنة ١٩٣٢ م قانون على الهيئات الدينية خلال خمس سنوات جاء فيه : « فى أول مايو سنة ١٩٣٧ م لن يبقى فى كافة البلاد أى مكان للعبادة ، ويجب القضاء على فكرة الإلـه التى هى من بقايا القرون الوسطى المظلمة » .

وأخاف القانون الناس فنفروا من الدين وأخذوا ينشرون الإلحاد ، والتعليم نفسه ينشر الكفر ، وحذرت الشيوعية كل الأفراد من التدين وذكرت أنها لا تقبل فى صفوفها من يؤمن بدين من الأديان .

وفى القوانين التى صدرت سنة ١٩٣٩ م قانون يمنع الاجتماعات الدينية ويمنع الهيئات والأفراد من الاحتفاظ بأى نوع من الكتب الدينية .

هذا موقف الشيوعية من الأديان جميعها ، أما موقفها من دين الاسلام خاصة فهو موقف العدو اللدود اللئيم القذر من خصمه الشريف .

الشيوعية والاسلام

الشيوعية تعرف أن الاسـلام هو الدين الوحيد الذى أتى

بقواعد محكمة للحكم والنظام الاجتماعي والسياسى والاقتصادى والمالى والتجاري ، ولم يترك أى مشكلة يمكن أن تحل بفرد أو جماعة أو أمة أو حكومة إلا قال رأيه الواضح الصواب فيها ، ومنح الانسان الحرية ووضع قواعد المجتمع الفاضل ومد للانسانية طريق الخير وصانه من الانزلاق فى بؤر الشر .

عرف الشيوعيون أن مذهبهم لا يمكن أن يسود مادام الإسلام، فحاربوه أعنف حرب عرفها تاريخ الأديان ، وحاولوا أن ينشروا مذهبهم في الشرق الإسلامي بكل وسيلة ، ولكن الدين صد تيارهم الجارف وذاد عن حمى المسلمين الشر ، وهزم الماركسية شر هزيمة جعلت مولوتوف يقول فى خطبة له : « لن تنتشر الشيوعية فى الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها فى الحجاز وإلا إذا قضينا على الإسلام » .

وبذلوا المستحيل لصرف المسلمين فى الشرق الإسلامي عن القبلة ، وأرادوا هدم الإسلام فخذلهم الله وسلم بلاد المسلمين من الخطر الأحمر ، وليعلم مولوتوف والكرملين أن الغد القريب للاسلام إن شاء الله ، فلقد استيقظت شعوب الأرض المسلمة وحررت نفسها من الاستعمار الغربى ووقفت أمام البلشفية وقفة الجبار ، ولن تستطيع الشيوعية هزم الاسلام ما كان فى الوجود ذرة واحدة .

أما المسلمون فى الروسيا والبلدان التى احتلتها الشيوعية مثل تركستان وبخارى وطاشكند وفرغانه وخوارزم وأرمنية فقد حصدتهم حصداً ، واستأصلتهم استئصالا ، حتي الأطفال الأبرياء كانوا طعمة لرصاص الشيوعية المنهمر ، لقد قتلوا من المسلمين فى هذه البقاع مايعدون بالملايين .

أما من نجوا من القتل ولم يستطيعوا الفرار فقد أذلتهم وأرغمتهم على اعتناق الشيوعية وفى سنة ١٩٣٣م اتبع البلاشفة الملاعين طريقة فاجرة شيطانية للقضاء على الروح الدينية فى الأطفال ، فكانوا يجمعون الأطفال فى « عنابر » كبيرة فى كل المدن الاسلامية المحتلة من الشيوعية ويقولون للأطفال : هل الله موجود ؟ فيجيبون فى بساطة وبراءة : نعم ، فيسألونهم : من الذى يعطيكم الطعام ؟ فيجيبون : الله . فيقولون لهم بعد تجويعهم : هيا اطلبوا من ربكم الطعام ، فيصيح الأطفال : يارب ، أعطنا الطعام ، ويرددون الدعاء ، وينتظرون الاجابة ، والسماء لا تلقى بالطعام جاهزا فى صحون ، والله قد جعل لكل شىء سببا ، ويطول انتظارهم حتى يتلوون من الجوع ، وعندئذ يقول الأبالسة الجاحدون : قولوا أعطنا الطعام ياستالين ، فيقولون ، وعندئذ يهرع الخدم بالطعام الممتاز الفاخر ، فيطعمون ويشربون ، وبعد أن ينتهوا يقول لهم الشيوعيون : أرأيتم ، لو كان الله موجودا

حقا لأعطاكم الطعام ، ولكن لأنه غير موجود لم يعطكم ، إنما ستالين هو إلهكم ، وهو الجدير منكم بالعبادة والذكر والتقديس .

آلاف اللاجئين الذى شردتهم روسيا يروون هذا ، وكل فريق منهم من بلد ويعيش فى بلد ، آلاف فى الهند وآلاف فى إيران وآلاف فى الحجاز ، وكل مدينة من مدن هذه البلدان تضم مئات وآلافا من هؤلاء اللاجئين وكلهم يروون هذه الحادثة المكررة على بعد الديار واختلاف اللغات .

ولا يظن القارىء أن هذا الكلام خيال أو من نسج اللاجئين المشردين ، فله أشباه ونظائر فى الحوادث التى وقت قريبا وهى لاتقبل الشك .

لقد عرض منذ شهور فيلم روسى عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرملين نفسه ، وفى غير منظر كنت تجد الجيش الروسى في ميادين الحرب يبتهلون إلى ستالين قائلين : انصرنا ياستالين ، لن نهزم مادام ستالين معنا ، سننتصر لأن ستالين معنا .

هؤلاء الرجال بالملايين وهم فى حالة تجعل الإنسان يتجه إلى خالقه يطلب منه العون والنصر يتجهون صوب الكرملين ويدعون

ستالين ، فاذا أرغم الأطفـال الأبرياء من قبل البلاشفة المردة فلا غرابة .

إن دعاء الرجال الأشداء المحاربين لستالين وابتهالهم إليه وطلبهم منه العون والنصر أكبر من دعاء أطفال مغلوبين أبرياء ، فاذا كان ما عرضه الكرملين نفسه فى فيلم « سقوط برلين » كذبا أو خيالا فان حادثة الأطفال تصبح مجالا للمظنة والتكذيب ، أما وذلك اعتراف الشيوعيين فهذا أدعى إلى القبول والتصديق .

قضوا على الروح الدينية فى نفوس أطفال المسلمين وغير المسلمين بتلك الأساليب الخبيثة ، أما المسلمون الناجون من الموت والاستئصال فقد أرادت الشيوعية أن تمحو منهم كل شعور دينى أو شعور بالخير نحو إخوانهم المسلمين فى الأقطار الأخرى ، وأن تقطع صلاتهم بعضهم ببعض ، فأصدرت الشيوعية سنة ١٩٣٣ م قانونا يقضي بعدم استعمال الحروف العربية ويلزم المسلمين القلائل باتخاذ الحروف اللاتينية حتى يقطعوا صلة المسلمين بتاريخهم وبلغة القرآن ، ثم فى سنة ١٩٣٧ م رأت الشيوعية أن اتخاذ الحروف اللاتينية غير كاف فى صبغ المسلمين باللون الأحمر ففرضت عليهم اتخاذ الحروف الروسية وفرضت عليهم اللغة الروسية وآدابها

وثقافتها الالحادية عوضا عن العربية والثقافة الإسلامية وبدلا من اللاتينية التى ترجم إليها بعض ذخائر العرب والمسلمين .

واستأصلت الشيوعية كل صلة بين المسلمين فى الاتحاد الروسى وإخوانهم خارجه بأن قضت على الروابط الروحية والثقافية بين مختلف القوميات واللغات والأجناس ، لتتم لها الحيلولة بين المسلمين فى الروسيا وخارج الستار الحديدى .

وإن ما لحق المسلمين فى روسيا الحمراء من عذاب وتقتيل وتشريد واستئصال للملايين منهم أبكي البابا المسيحى نفسه فاستنزل اللعنة على البلاشفة ودعا الله أن يرحمهم من هؤلاء الشياطين الكفرة الفجرة ، وعزى المسلمين أجمل عزاء .

ويدل موقف الشيوعية من الأديان كلها ، ذلك الموقف الذى أشرنا إليه فى إيجاز ، واستدللنا على إثباته بالوثائق والأسانيد ، على نصيب الناس من حرية الاعتقاد وحرية العبادة .

ونخلص من كل هذا إلا أن الحرية بجميع أنواعها مفقودة فى الاتحاد السوفيتى .

السلام العالمى

من مفتريات الشيوعية والشيوعيين أنهم يعملون للسلام العالمي

وأن قواعده لن تقيمها إلا الماركسية ، وأن الرأسمالية هى التى تزلزل قواعد السلام والأديان وتثير الحروب العدوانية من أجل سيطرة طبقة خاصة .

وتاريخ الشيوعية القريب المعاصر يثبت غير ذلك ، فأساس مذهبهم قائم على إثارة القلاقل والفتن والحروب ، وتكذيب دعاواهم من أقوالهم وأفعالهم أنفسهم ، وأول دليل على أنهم « المخربون » الهدامون الذين يذبحون كل يوم حمامة من حمائم السلام تأسيسهم الشيوعية الدولية (الكومنترن) واسمها يدل عليها ، والقصد منها نشر المذهب الهدام فى كل أقطار الأرض ، وانتزاع الدين والأخلاق من نفوس العمال ووضع الشيوعية بدلها وسوقهم إلى الميادين ليكونوا وقود الفتن وباعثها .

وأسس الكومنترن إثارة الفتن السياسية والاضطرابات الاقتصادية وإقلاق المجتمعات ، وشغل الحكومات بأفانين من النزاع الداخلى تشغلها عن الاستعداد لمواجهة العدوان الخارجى ، ومساعدة الطبقة العاملة على الثورة تمهيدا لتغيير كل أنظمة الحكم فى العالم ليسهل على الشيوعية أن تدب إلى كراسى الحكم .

لماذا أسس الشيوعيون الكومنترن إذا كانوا يريدون السلام العالمي ؟

ولكن أنصار الشيوعية يزعمون أن روسيا ألغت الكومنترن رغبة فى السلام وينسون أنها تظاهرت بالغائه عندما كانت مهددة من النازية سنة ١٩٣٤ م تقربا للحلفاء حتى تضمن عون الديموقراطيات .

وسواء عليها أتظاهرات أم لم تتظاهر فان الحلفاء كانوا مضطرين لمساندة روسيا ومساعدتها عسكريا لأنها كانت تحارب هتلر الذى هددهم شر تهديد ، ولكن إذا لم تتوسل الشيوعية بالكذب والرياء فمن يتوسل؟

إنها ألغت الكومنترن فى الظاهر ، ولكنها لم تلغه حقيقة فقد غيرت الاسم ، واستبدلت بالكومنترن مكتب الاستعلام الشيوعى (الكومنفورم) ومهمته مهمة الكومنترن نفسها . يقول جرافت شنكو — أحد كبار الشيوعيين الذى ابتعثه الكرملين إلى أمريكا فانتهز الفرصة وبقي فيها لاجئا ولم يعد إلى روسيا — يقول: إن موسكو لا تزال توجه الحركات الشيوعية فى جميع أقطار الأرض برغم تظاهرها بحل الشيوعية الدولية .

ويؤيد قول جرافت شنكو وغيره ستالين نفسه الذى يقول فى كتابه « مشاكل اللينينية » : « إن من حق روسيا بل من واجبها

استخدام القوة مع استخدام كل الوسائل التي تبلغنا أهدافنا فى إشعال نار الثورة فى كل بلد أجنبى إذا ماأتيحت الفرصة لإشعالها ، والفرصة لاتوجد من تلقاء نفسها ، بل لابد أن نبذل المستحيل حتى نوجدها ونستغلها فى مصلحة الماركسية » .

وفى التمهيد المكتوب لمشاكل اللينينية يقول كاتبه : « إن دراسة تاريخ الحروب تطمئننا وتجعلنا نعتقد جازمين أن النصر سيكون للشيوعية التي ينشرها ستالين كما نشرها لينين ، ووسيلة هذا النصر التى لا وسيلة سواها الحرب وإشعال نار الفتن فى كل بلاد أجنبية » .

وليست هذه عقيدة الشيوعيين المسيطرين ، بل كان هذا هو رأى ماركس وإنجلز الذى وزع على مواد الدستور السوفيتى الذى جاء فيه : « إن الشيوعية تؤمن بمبدء اجتماعى واحد هو صراع الطبقات » ويزعم ماركس وإنجلز أن « تاريخ كافة الجماعات الحاضرة هو تاريخ الصراع بين الطبقات » ومن أقوال ماركس المشهورة : « صراع الطبقات يقود بالضرورة إلى دكتاتورية الطبقة العاملة ، وهذه الدكتاتورية لن تتاح إلا باشعال نار الثورة العمياء والانقلاب الشامل المبيد ، ولن تستطيع الطبقة العاملة التحرك ولا النهوض بنفسها إلا بنسف جميع طبقات المجتمع المتراكمة فوقها

بعد أن تصحو من الأفيون الذى خدرته به الأديان حتى لاتفيق فتتحرك وتنهض وتبيد » .

ويضيف لينين إلى أقوال ماركس وإنجلز قوله : « من غير نظرية ثورية لن تكون حركة ثورية ، ورسالتنا أن نثير الطبقة العاملة ونملأ قلوبها بالحقد والغيظ حتى تستطيع هدم المجتمع بإبادة الطبقات التى تتراكم عليه » .

ويأتى ستالين ليردد آراء متبوعيه الشياطين فيقول فى رسالته « المادية الجدلية » : « تحرير الطبقة العامله وقف على الثورة المدمرة ، ولن تثور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورها بالمقت والحقد على الطبقات الأخرى والخوف منها ، فالمقت والحقد والخوف والضغينة هي بواعث الثورة ووقودها ، وعندما تبدأ الثورة نلقي فيها بالوقود تلو الوقود حتى تلتهم كل من يناوئنا » .

وما أظن بعد هذا يبقى مجال للشك فى أن الشيوعية هي التى تهدد السلام العالمى ، ثم إن جراثيمها الفتاكة التى تلقيها فى الظلام فتلوث النفوس والضمائر ، وينحرف المصابون بها عن الجادة ما تزال تلقى بوساطة وسائلها ، وآية ذلك مانقرأ أو نشهد من قبض الحكومات على أوكار شيوعية تعمل على نشر السموم والجراثيم .

ولولا أن الله رحيم يهتك الأستار عن هؤلاء المخربين ويرد كيدهم إلى نحورهم لسالت دماء وأزهقت أرواح .

التعصب الجنسى

من أكاذيب الشيوعية التى انخدع بها الأغرار وبعض حسنى النية من غير الروس أن الشيوعية قامت للقضاء على الجنسية والقومية والوطنية ، وأنها تفتح صدرها لبنى الانسان دون أن تعبأ باختلاف الأجناس والألوان واللغات والأديان ، وأنها تحضن الانسان أياكان ، وزعمت أن التعصب الجنسى مقضى عليه لا محالة بوساطة الشيوعية التي تموت في تربتها القوميات والوطنيات .

وتكهن كارل ماركس نفسه بأن الشيوعية آفة الجنسية والقومية والوطنية ، وأنها متى سيطرت ماتت هذه الفوارق التى أخرت الاقتصاد العالمى .

وأراد الله أن يفضح الشيوعيّة ويظهر أكاذيبها فكانت لها دولة تملك سدس المعمورة من الأرض وعشرها من السكان ، فهل أنجزت ما وعدت ، وطبقت مبدأها هذا ؟

كلا ، نقولها ودليلنا الشيوعية نفسها ، فقد لجأت إلى الوطنية تذكى بها حماسة الجيش الروسى وتثير حفائظه ضد الألمان ، حتى أن ستالين نفسه عندما أراد تسويغ إباحة حرية العبادة للقلة من

المسلمين والمسيحيين فى زمن الحرب زعم فى بياته أن الحكومة الروسية تمنح رجال الدين حرية العبادة لما أبدوا من وطنية صادقة فى صفوف القتال .

وأشاد ستالين وزملاؤه بالقومية إذكاء للروح الوطنية ، وطلبوا إلى المواطنين الروس الصبر والكفاح حتى يبرهنوا لغيرهم تفوق « الجنس الروسى » وإيمانه بقوميته .

أما التعصب للجنس فلم يؤثر عن أمة أنها فعلت ما فعل الشيوعيون ، فقد تفردوا فى هذا المضمار وانتهوا إلى حد الوقاحة الوقحة المخجلة لو يخجلون .

وبلغت بهم القحة ، أن يجعلوا العلم الذى لا وطن له ولا لون ذا جنس ولون ، جنسه روسى ولونه أحمر ، حتى أن رئيس مجمع العلوم الأستاذ فافيلوف قال فى خطاب له وردده فى مقالاته كما ردده غيره من العلماء والحكام والكتاب من الروس : « العلم السوفيتى ليس فرعا من العلم العالمى ، بل هو علم منعزل مختلف بطبيعته ونطاقه ، ومزيته الأولى أنه دون غيره يقوم على أساس فلسفى واضح ، وهو الأساس الذى وضعه ماركس وإنجلز ولينين وستالين » .

مارأى أذناب الشيوعية فى الشرق العربى والاسلامى فى هذه الأضحوكة أو المهزلة ؟ أيصبح أن تكون النتيجة الحسابية من ٢+٢=٤ نتيجة حمراء . إذا لم يصح هذا فزعم فافيلوف باطل، ومع بطلانه يثير السخرية من رجل مبرز في العلوم يرأس مجمعا علميا يضم آلاف العلماء النابغين ، ولكن الشيوعية التى لا تخجل تجبر العلماء أن يقولوا مايجعلهم سخرية أمام غيرهم وهم مجبرون فرارا بجلدهم أن يسلخه القصاب الروس إذا لم يأتمروا بأمره .

وأفظع من هذا أن تستبد القحة بالشيوعيين إلي حد الاستخفاف بالعقول والحقائق والتاريخ ، وتتبجح أمام العالم بدعاوى يعرف تلامذة الابتدائيه وعامة الناس كذبها ، ويحملهم على الكذب العريض السافر والاستخفاف المهين تعصبهم الجنسى الحقير ، فهم يدعون أن الاختراعات الكبرى فى العصر الحديث أصحابها الأصلاء روسيون ، ومن نسبت إليهم من الأمم الأخرى سطوا على المخترعين الروسيين وسلبوهم حقوقهم وادعوها كذبا وبهتانا، وزعمت الشيوعية أن «ماركونى» ليس مخترع اللاسلكى ، وإنما مخترعه الحقيقي هو «الكسندر بوبوف» الذى اخترع اللاسلكى سنة ١٨٩٥م، ونشر العلماء الروس المختصون فى علم الراديو بجريدة « أزفستيا » خطابا زعموا فيه أن ماركونى ليس إلا لصا سطا على بوبوف ،

واحتفلت روسيا منذ إحدى عشرة سنة بالذكرى الخمسينية بمناسبة مرور خمسين عاما على هذا الكشف العالمي ، وقررت الحكومة الروسية تخصيص يوم سمته «يوم الراديو» تكريما للمخترع الروسى .

وزعمت الشيوعيه أن «أديسون» الأمريكى لم يهتد إلى الكهرباء على هدى تجاربه ، بل سبقه العالم الروسي «لوويجين» فقد أضاء أول مصباح بالكهرباء قبل أديسون بست سنين ، ولكن الرأسمالية التى تسرق العمال سرقت مفخرة لوويجين ومنحتها لأديسون .

وزعمت الشيوعية أن علماء روسيا سبقوا العالم إلى كل اختراع كبير أو كشف علمي جديد ، فالعالم الفرنسى «لافوازييه» الذى نسب إليه وضع القانون الخاص بتركيب الأجسام ليس هو واضعه ، بل واضعه الحقيقي هو العالم الروسى «ميشيل لومونوسوف» .

وزعمت أن العلماء الروسى اخترعوا التلغراف قبل «مورس» وتسيير القاطرة البخارية قبل «ستيفنسن» وقانون الجاذبية قبل «إسحاق نيوتن» ونظرية «أن الجماد يحس» قبل العلامة الهندى «بوز» .

وهكذا زعمت الشيوعية أن كل اختراع كبير هو روسي الأصل سطا عليه لصوص العلماء من الأجانب وادعوه .

ولم يقف التعصب إلى هذا الحد ، بل تجاوزه إلي أبعد منه ، فالشيوعية تتهم كل من ينسب كشفا علميا أو اختراعا إلي صاحبه غير الروسى بالخيانة والكفر بالوطنية ، بل إذا ذكر عالم روسي حقيقة علمية لا ترضي الشيوعيين يعاقب منها بتهمة الخيانية لمبادىء ماركس .

كتب العالم الروسى «جيرات» مقالا نقد فيه الأستاذ «ليسنكو» العالم الروسى المختص فى علم الكائنات، وذكر اسم عالم غربى نسب إليه فضلا علميا فى علم الكائنات رأت فيه الشيوعية أن جيرات آثر الغرب دون زميله المواطن ليسنكو فاتهمته بأنه خائن ، وطلب الشيوعيون مجازاته بأقصى العقوبات حتى لا يجرؤ غيره على أن يتأسى بهذا الخائن .

حتي العلم الذى لا وطن له صبغته الشيوعية بالون الأحمر .

جنة الشيوعية هى جحيم الانسانية :

وعدت الشيوعية العمال بأنها ستدخلهم فى الجنة التى أعدتها لهم ، تلك الجنة مهيئة لطبقة العمال وحدها ، لأنها لن تسمح لغير هذه الطبقة أن تدخلها ، وبعد أن سيطرت على سدس الأرض وعشر سكانها صارت تلك الجنة جحيما يتلظى فيها العمال ، ولم تحقق وعدا من وعودها الكثيرة ، لأنها وعد الكاذب ، ولأن ما وعدت

به غير قابل للتطبيق مادام للانسان روح وكرامة .

وشيوعيو الشرق من عبيد الماركية يزعمون أن الشيوعية جنة الأرض ، ويتشدقون بدعاوى يعلم الله والناس كذبها ، وما أظنهم يجرءون - إذا كان لهم عقل وخلق - أن يزعموا أن سادتهم فى الكرملين - الذين لايتجاوزون أصابع اليدين عدا - يحيون حياة العمال ، ولا يستطيعون أن ينكروا أن سادتهم يعيشون أعظم من عيش القياصرة ، بل يفوقونهم بذخا وترفا ، وكبرياء وصلفا ، ويستعبدون ويجورون بحيث لايوجد لظلمهم شبه فى التاريخ كله .

بل لم يذكر التاريخ قط أن مستبدا ظالما صنع ماصنع ستالين أو أى أحد من زملاء هذا « الوحش » اللعين .

براهين من الكرملين :

كان اسم ستالين كافيا لأن يزلزل كيان أى أحد فى الروسيا ، بل كان يزلزل الأرض تحت قدمى أى قائد أو كبير ، وإذا أتيح لأحد أن يقابله فانه يشعر أنه يقابل جلادا غشوما ظلوما ، يقابله وهو ينتفض من الجزع ، ويتخلع من الخوف .

ولا يظن أحد من عبيد الماركسية أننى ألقى القول جزافا ، بل

اقدم لهؤلاء السفلة المتبلشفين عن جهل أو عمى فى البصيرة دليلا صادرا من الكرملين نفسه .

عرض فى مصر فيلم روسي عنوانه « سقوط برلين » صنعه الكرملين ليظهر عظمة ستالين وبطش سلاحه وقوة جيشه، وبأس جنوده ، ومن المناظر التى نقتبس منها الدليل للتاريخ أن رئيس مصانع الحديد والصلب فى روسيا بذل من الجهود ماجعلها تنتج أضعاف ماكانت تنتج ، وظفر برضا الدولة ، فأفضل ستالين وسمح لهذا الرئيس أن يسعد برؤية وثنه المعبود أو الممقوت . ولما علم رئيس مصانع الحديد والصلب بأن ستالين شرفه وسمح له برؤيته ومصافحته لم يفرح بل انتفض خوفا ، ولما ذهب إلى الكرملين وانتظر فى حدائقه الشاسعة وأشير له إلى ستالين تزلزل بنيانه وأخذ يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وخفض رأسه إلي الأرض فزعا ، ثم صافحه فى خوف وخور ، حتى إذا استدبره بدأ الانبساط على أساريره ، ولم يكن الانبساط فرحا باللقاء بل فرحا بالنجاة من ستالين .

وإن هذا الفيلم وحده الذى صنعه الكرملين للدعاية يكفى للدلالة على نوع الحياة فى فردوس الشيوعية .

لادين ، فقد قولت الدعاية الروسية الجنود مالم يقولوا ، أو

حملتهم على أن يقولوا مالا يعتقدون ، فقد قالوا وهم فى ميدان القتال : لن نهزم مادام ستالين معنا ، سننتصر لأن ستالين معنا ، وقد تكرر هذا الهتاف غير مرة .

حدث هذا بعد أن سمح ستالين للرهبان وبعض المسلمين بأداء شعائرهم زلفى للحلفاء وسكان الأرض ممن يؤمنون بالله أو يؤمنون بالمثل ، ولم يخجل الكرملين من سوء مايعرض .

ورأينا أفلاما أخرجتها الدعاية الإنجليزية والدعاية الامريكية فلم نجد جنود الحلفاء يهتفون بأنهم سينتصرون مادام جورج أو روزفلت معهم ، ولم يؤثر عن الألمان أنهم قالوا فى ميدان الحرب : لن نهزم لأن هتلر معنا .

ثم لا أسرة ، فقد كانت عنابر العمال التى تتسع لعشرات الآلاف مزحومة بهم يعيشون فيها عيشة السوائم ، حتي الألهيات لم يرد بها التسلية والتسرية والتثقيف . بل كان من قبيل الدواء للمريض حتي يصح ، وصحة المريض ليست بالغالية الثمينة إلا لأنها تساعده على أن يكون « منتجا للدولة » وبقرة تحلبها الدولة وآلة تستخدمها الدولة .

ثم لا تجد فى ذلك الفردوس المكذوب الذى حشدت له الدعاية الروسية كل مالديها من مال ومكر وأكاذيب لتظهره للناس إلا قطعانا وآلات وماكنات .

عبيد مسخرون

وإن أعجب فما عجبي إلا من هؤلاء العبيد المسخرين لخدمة الشيوعية من غير الروس ، وعلى الأخص فى بعض بلدان العالم العربي ، أولئك العبيد الذين يتشدقون بالماركسية وماأعدت لأهلها من نعيم .

يكفى لبيان فساد الماركسية أنها تمنع الخير وتدخر الشر للانسانية وتخمد أنفاس من لا يدينون بها ، ولو كانوا عزلا من السلاح وبعيدين عن رغبة المقاومة والصراع ، وحسبها أنها سلبت نعمة أقوام وأمم وشعوب بحجة إعطائها للآخرين المستحقين ، وهى لاتعطيهم إلا الجوع والاستعباد والتعذيب .

إنهم - كما يزعمون - يريدون أن يحطموا الرأسمالية أيا كان نوعها ، يريدون أن يسلبوا الغني - ولو كان صالحا مصلحا - ماله ليعطوه العمال ، ويسلبوا القادر قدرته ليقدموها للعاجز المحروم ، ولذلك أقدم « العاطلون » واليائسون والسفلة لتأييدها واعتناقها والتبشير بها ، وهم إذ يصنعون ذلك مجبرون ، لأن أى دين أو حكومة - غير الماركسية - لاتقبل أن تقوم بعمل اللصوص وقطاع الطرق ، ولا تحمى الذؤبان والأشرار والخارجين على شرائع

الأخلاق والأديان .

إن قاعدة الشيوعية أن « من لا يعمل لا يأكل » ومع هذا نجد أن الشيوعيين أول من خالفوها وكذبوها بأعمالهم ، فكارل ماكس مخترع الشيوعية وإبليسها الأول كان لا يعمل لكسب العيش ، بل كان عالة على أبيه وأمه ، ثم على أخته ، ثم على الاحتيال البغيض المرذول ، ولقد عاش بقية حياته على التسول والإحسان ، أو على ما كان يتصدق به عليه تلميذه وزميله فريدريك إنجلز .

ولو طبق مذهب كارل ماركس عليه لمات هو نفسه من الجوع لأنه لم يعمل .

وليس هذا القول من الخيال بل هو الواقع نفسه كما تذكره الوثائق والمصادر الشيوعية نفسها ، ويسخر أندريه جيد فى يومياته بعد رجوعه من روسيا فيقول : « إن ما أعجبه في روسيا إلغاؤها تلك الكلمة : بعرق جبينك تأكل خبزك » .

وإن أعجب فما عجبى إلا من هؤلاء العبيد المسخرين للشيوعية الذين يزعمون أن ما يقال ضد الشيوعية افتراء محض من أعدائها فى المعسكر الغربى ، فاذا سألتهم : ومن أين لكم أنتم بالمعلومات التي تتشدقون بها ؟ أعاش أحد منكم فى هذا النعيم ، أم نزل عليكم الوحي

من سيدكم القابع فى الكرملين ، أجابوك جوابا لا يدل إلا على خلوهم من العقل والشعور .

وإذا كانت الشيوعية فردوسا أرضياً فلماذا يمنعون الناس من التمتع به ؟ ولماذا يأبون على غيرهم أن يشاركهم النعيم المقيم ، ولماذا يحيطون فردوسهم الذى لاوجود له بحصون تذود عنها الرواد وتبعد عنها القاصدين ؟

أقل مايقال إنها الأنانية القذرة الرعناء ، إذا صدق افتراؤهم عن الفردوس الوهمى .

إن عبيد الشيوعية يزعمون أن الحكومات هى التى تمنع أبناءها من الدخول إلى فردوس الشيوعية لئلا يروا النعيم المقيم فيثوروا على حكوماتهم .

وهو اتهام كاتهام الشيوعيين للأخلاق والأديان والحقائق .

إن الحكومات لاتمنع أبناءها من الذهاب إلى الروسيا ،وكثيرا ما أراد بعض الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين من زيارة الاتحاد السوفيتي فلم تعطهم سفاراته «تأشيرة الدخول» بحجج واهية كلها تتجمع فى أن هؤلاء غير مرغوب فيهم ! كما أرادت بعثة من الجامع الأزهر السفر إلي روسيا لتفقدشؤون المسلمين فيها فلم يسمح للبعثة

الأزهرية ، لماذا ؟ لاجواب عندهم ، والجواب الصحيح أو السبب الصحيح لهذا المنع أن الشيوعيين يخافون على أنفسهم كما تخاف عصابة اللصوص أى شبح غريب عنها ويخشون أن يرى المخدوعون غيرهم فتتفتح أعينهم .

وهؤلاء العبيد المسخرون يعتنقون الشيوعية لا لأنها مذهب فاضل يريد أن يبنى مجتمعا فاضلا يقوم على أساس الفضيلة والخير ، لأن أيسر مايضطرب فى مجتمع الماركسيين ينقض دعواهم أنهم يريدون بناء مجتمع فاضل ، يعتنقون الشيوعية لأنهم يجدون فيها ماتستجيب له الغرائز الدنيا والحيوانية المرذولة .

المجتمع الشيوعى

أى مجتمع هذا الذى يتشدق به الماركسيون ويزعمون أنه مجتمع فاضل كريم ثم لانجد فيه من علامات الفضل والكرم شيئاً ، حتى العلاقات الإنسانية البدائية بين الأفراد بعضهم ببعض مفقودة ، لأن التعاطف والتواد والمحبة تحمل على فعل الخير والإحسان ، والشيوعية لاتؤمن بالمشاعر والعلاقات الانسانية بل تحاربها ، وليس أدل على ذلك من محاربتها الأسرة ، والشيوعية تكفر بالقيم والمعانى وتؤمن بالمادة ، وتنظر إلى المشاعر الطيبة نظرتها إلي « الزائدة » يجب أن

تستأصل ، فاستأصلوا كل روابط الإنسانية وبنوا علاقاتهم على المقايضة والإنتاج والمادة .

أمن الحق أن يتركوا فرداً ظالما يتمادى في غوايته وظلمه ؟

أمن العدل أن يسيطر فرد موصوف من زملائه وشركائه بالإجرام والطغيان على مقدرات أمة تزيد على مائتي مليون سيطرة وصفها أنصاره وعبّاده بأنها كانت مبنية على القتل والفتك والتعذيب ؟

أمن العدل الاجتماعى ألا يباح العيش للعاجز إذا كان ميئوسا من قدرته أو المريض غير المأمول شفاؤه ؟

إن « التأمين الاجتماعى » مفقود فى بلاد البلاشفة ، ليس فيها التأمين ضد الخوف ، فالناس كلهم خائف حتى من بيدهم الحكم والسلطان ، وليس فيها التأمين ضد الجوع ، والمريض الميئوس من شفائه ، والعاجز عن الكسب لعلة من العلل لا يطيقان العمل ، وماداما لا يعملان فلاحق لهما فى العيش ، لأن قاعدة الماركسية بنيت على أن « من لا يعمل لا يأكل » .

فاذا زعموا أن العاجز الذى لا يطيق العمل مضمون له العيش فقد نقضوا هم القاعدة ، أو خرجوا عنها بشواذ تضعضع القاعدة .

أما الفضيلة فلاتجد لها مكانا فى أرض مخضبة بدماء الأبرياء ، فى أرض تقضى على الزوجيـة وتبيع الحرام ، وتشجع المنكر ، وتضمر الشر للعالمين ، وتزرع الرذيلة .

الاسرة والانسانية

إن رسالة إنجلز عن الأسرة هجوم عليها لأنه يعتبرها مدعاة للتهالك على الادخار والاكتناز ، ويتبعهما قلة التـداول للمذخور والمكنوز، ونظام الأسرة يبعث على الشعور بالحب فى حدود ضيقة ، وبالقضاء على هـذا النظام يقضى على هذه النقائص والدوافع التى لاتتفق مع الكفاح والعمل، وعندما يقضى على نظام الأسرة يحل محله حب عام بعيد الحدود، فحب الأسرة المكونة من عشرة أفراد ـ مثلا ـ هو حب ضيق الحدود ، وعندما يقضى على هذا الحب تبعا للقضاء على نظام الأسرة فانه يحل محله حب الملايين بعضهم بعضا ، ونظام الأسرة يقوم على الميراث ، ميراث الأخلاق والصفات بجانب ميراث المال والعقار ، وبالقضاء عليه يقضي على توريث ماقبح من الصفات أو اعتل من الصحة ، ويصبح الموروث من المادة دولة بين الناس ومنفعة للجميع لأنه يكون ملكا للدولة .

إن إنجلز تلميذ ماركس وصفيه قوض فى رسالته نظام الأسرة

وهدم قواعدها ليتاح للشيوعية أن تقضى على الصفات الكريمة التي تنشأ من الرباط « العائلى » ، ولتموت صفات الخير والرحمة والبر والمعروف ، وتتهالك الفضائل التى تنبثق من نظام الأسرة فيسهل حينئذ على دعاة الهدم والتخريب أن يحيلوا الآدميين إلى قطعان من الحيوان يسهل حشدها فى صعيد وتوجيهها الوجهة التى يريدها المخربون الهدامون ، أو تحيلهم إلى « مكنة » أو آلة جامدة .

وتبع انهيار محراب الخير انهيار صرح الفضيلة ، فلم يعد فى روسيا عمل خير ، لأنه لا مجال للاحسان فى هذه الغابة السوداء ، ولا تجد من يقبل منك الاحسان لا لأنه غنى قادر ، ولا لأن من تحسن إليه مفقود ، إذ لا يعقل أن يمحي من بين مائتى مليون من هو أهل للاحسان .

إن الاحسان فى بيئة الشيوعيين جريمة أشنع من جريمة السرقة فى الأمم المتمدينة ، السطو والنهب فى شريعة الشيوعية حلال بل واجب ، أما الإحسان فحرام . لقد اختفي الاحسان باختفاء المحسن والمحسن عليه على السواء ، لأن نتيجة كليهما إن علمت به الدولة الموت أو السجن .

قضت الشيوعية بالحديد والنار على المشاعر الانسانية الفاضلة ،

فلا تجد فيها محسنا يتبرع لعمل نافع ، أو أن قويا أسرع فى عون ضعيف أو أن جارا هب لنجدة جاره ، أو صديقا يحسن إلى صديقه ويواسيه .

الصنم الذى هوى

إن أسس المجتمع الفاضل : الحق والعدل الاجتماعى والفضيلة والخير ، فأين الحق فى المجتمع الشيوعى ؟ أمن الحق أن يسيطر ستالين على شعوب يستعبد كل من فيها شر استعباد ، ويوجههم شر توجيه ، ويجبرهم أن يؤلهوه ؟

لقد كان ستالين فى هذا المجتمع الفاضل المزعوم أفضل من يضمه وأعظم من يعيش فيه وأكبر إنسان به وأكثرهم فضلا وأحسنهم خلقا ، ووصفوه بأنه النموذج الأعلى للانسان الكامل ، ووصفوه بأنه المنعم المتفضل الذى لايعمل إلا لخير الإنسانية كلها .

هكذا صورته الدعاية الماركسية التى جعلت من ستالين رمزها المتخير الأعلى ، ونبيها الأمثل ، ومثلها الأرفع فى كل شىء ، ثم يهوى هذا « الرمز » محطوما شر تحطيم ، ويبدو المرفوع إلى أعلى مراتب الإنسانية وحشا كنودا يعيش فى الدركات السفلي .

من الذى هوى بهذا الرمز ؟ ومن الذى داس هذا الصنم المعبود ؟ إنهم عباده المخلصون الأقربون لا الأعداء الناقمون .

لقد أزرى بالصنم عباده أشنع زراية ، ومثلوا بجثته ورفاته وآدميته وأعماله أبشع تمثيل ، لقد وصفوه بكل موبقة يندى لها جبين البر والفاجر على السواء ، بل لم يتركوا موبقة إلا وذكروها له واستدلوا عليها بالوثائق والمستندات ، بل جعلوا أعماله تتكلم وتتحدث ونزعوا منه ملابسه فبدأ الشيطان على حقيقته .

لقد جردوه من المزايا كلها ، وكانوا مصيبين ، ولم يصيبوا إلا في هذا ، لقد اعترف اللصوص على رئيس العصابة وأيدتهم أعماله وأفعاله .

لم يكن من داسوا رب الشيوعية من المعسكر الغربى ، ولم يقل فيه أحد ما قاله فيه عباده ، بل لم يبلغ كل ماقاله العالم فى هذا المعبود الكذاب عشر معشار ماقاله فيه عباده الأدنون الذين كشفوا عن خبيء سوءاته ومستور قذاراته وأبانوا وحشيته واستبداده .

أترى ماذا يقول عبيد الشيوعية المسخرون فى معبودهم الذى هوى وديس بالأقدام ؟ إنهم تنكروا لإلههم المعبود وانقادوا لأربابهم الجدد ، وانتقلوا فجأة من التقديس والعبادة إلى التجديف

والكفر ، ولم يسألوا عن الأسباب ، ولم يطلبوا الدليل والبرهان من الهدامين الدائسين .

وهذا يكشف عن نفسية هؤلاء الأتباع من العبيد المسخرين .

إذا كان زملاء ستالين وشركاؤه يعترفون الآن بأنهم ما كانوا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة أمامه ، وكانوا يخشون سطوته وبأسه ووحشيته وإجرامه ، وتركوا له الحرية المطلقة فى العمل والتقتيل والتخريب خوفا على أنفسهم أن يهلكها هذا الطاغية اللعين ، وأجبروا على أن يطيعوه ويعينوه ، فأين الحرية التى يتشدقون بها ؟

أكاذيب

ومع هذا يظن الماركسيون أنهم انتهوا الي العلم الصحيح بكل حقائق الأرض والسماء ، ويصدقون كارل ماركس عندما زعم لهم أنه وضع نظاما للعالم كله ، وزعم أن الإنسانية بأسرها ستتقيد به كل التقيد ، ولن تحيد عنه قيد شعرة ، ولن يستطيع أحد أن يضيف إليه جديدا لأنه نظام يحوى كل ما يحتاج إليه العالم من دساتير وقوانين وشريعة لا تختلف ولو بعد آلاف السنين ،

ولن يقبل التبديل والتغيير لأنه نظام معصوم من النقص مبرأ من الخلل مطلق الكمال .

وما أدرى كيف يجوز على العقول هذه الترهات ويقبلها بعض الناس باسم العلم ؟ وكيف يطمسون بصائرهم ويلغون عقولهم عندما يتبلشفون ؟ لاتفسير ولا جواب إلا أن الشيوعية مخدر قوى يبلد ويعطل ملكة التفكير والإدراك والتمييز، فلا عيز من يعتنقها بين الصحيح والزائف والحق والباطل والعلم والجهل والصدق والكذب ، ولهذا تقبل عقولهم أن ماركس أحاط بالإنسانية كلها وبكل ماينشأ فى الأرض من مجتمعات ، وأحاط بالعالم حتى ينتهى ، ويصدقون أن ماركس وضع نظاما يسير العالم بما فيه ومن فيه ، ولن يتغير هذا النظام أو يتبدل أو يعتريه نقص أو خلل مهما كان الأمر .

وما يزال عبيد الشيوعية يصدقون هذه الأكاذيب ويقبلون هذه الأضاليل والأوهام فى حين أن الواقع المادى المشهود أظهر كذب ماركس وسماديره ، فنظامه الذى زعم أنه مطلق الكمال لا يقبل التحويل أو التبديل قد تغير على يد عباده وأتباعه .

زعم ماركس فى رسائله وكتاباته التى حوت نظامه ومبادئه وإنجيله وتكهناته أن الأسرة ستمحي ، والزوجية ستنفصم ،

والملكية ستزول ، والوطنية ستموت ، والقومية ستفنى ، والعامل سيسود ويعيش عيشة ترف ورخاء ، والشيوعية ستصبح دين الإنسانية كلها .

زعم ماركس كل هذا وأكثر منه فما كان نصيب تكهناته من الوقوع والتحقق ؟

محت الشيوعية الأسرة فى روسيا ، وجعلت كل مولود ولد الدولة ، وكل امرأة وسيلة إنتاج للدولة ، وكل رجل رقماً فى الدولة ، ولم تستطع هذه « النبوءة » التى بشر بها كارل ماركس أن تعيش إلا سنوات قليلة ثم ماتت ، لأن الدولة اعترفت بالأسرة ، وبذلك كذب الكاهن الشيوعى الضال المضل ، فقد قامت الأسرة من جديد فى روسيا ، ولم تكن قد ماتت ولكن الإرهاب الإجرامى هو الذى خنقها وأخفاها زمنا ثم غلبت قوة الواقع كهانة ماركس فماتت بعد أن ظهر كذبها واستحالة وقوعها بحيث يرضي الناس .

كذبة القضاء على الملكية

وقضت الشيوعية على الملكية لأن ماركس قرر أن الملكية الفردية مصدر النزاع فى المجتمع فنادى بالغائها ، فلما سيطرت الشيوعية ألغتها وتبع ذلك القضاء على الميراث ، وقبضت الدولة على

مصادر الثروة وموارد الإنتاج والمصانع والمناجم والمتاجر والمزارع والعقار . وفى المادة الخامسة من الدستور السوفيتى : « الملكية الفردية لا وجود لها ، والملكية المباحة هي الملكية الاشتراكية ، وهى إما أن تكون للدولة فتكون الثروة للشعب عامة ، وإما أن تكون جماعية أو تعاونية » .

ثم اعترفت الشيوعية بالملكية تحت ستار جمعيات التعاون فى امتلاك الأرض ، وأباحت ملكية الفرد بعد أن حرموها عليه، فأصبح فى وسعه أن يملك الفرد ما يحصل عليه من دخل من عمله ، ويملك أثاث منزله ، وأن يملك الفلاح الأرض على سبيل الإعارة الدائمة على أن تستغل على أساس تعاوني ، وبذلك كذبت كهانة ماركس .

كذبة القضاء على الزوجية

أما الزوجية فكانت عقداً بين رجل وأنثي يستطيع كل منها فسخه وفصمه عندما يريد ، ولا شأن لأحدهما بالجنين أو الولد لأن الدولة تتبناه وتكفله .

ولا يحمي هذا العقد قيد من خلق أو فضيلة ، وهو يشبه عقد

العامل مع المعمل ، بل إن العقد الذى يجمع بين رجل وأنثى أهون من العقد بين العامل والمعمل ، لأن لهذا قيوداً وذلك لا قيود له . ثم كذبت الدولة كهانة معبودها كارل ماركس فأباحت الزواج واعترفت بالأمومة والأبوة .

كذبة : الوطنية والقومية

أما الوطنية والقومية فقد كذبت الحرب الثانية نبوءة كارل ماركس عنها ، وكان أول المكذبين أتباعه المخلصين وعباده الأوفياء فقد نادى ستالين وعصابة الكرملين بالوطنية والقومية ، وآثاروا بها نخوة الجيش الروس ، واعترفوا بالقومية والوطنية .

كذبة « رفاهية العامل »

أما تكهن ماركس عن العامل وسيادته فقد كذبت فى حياته وبعد هلاكه على أيدى أنصاره ومريديه قبل تكذبها على أيدى خصومه ومخالفيه ، فلم يتسلم العامل زمام الحكم ، ولم يرتفع مستواه فى روسيا ، بل استحال العامل من الإنسانية إلي الحيوانية ، ولم يعد لحما ودما ، بل جزءا من الآلة التى أوجدها ثم عبدها وابتهل إليها وأصبح مسخرا لخدمتها ، وعندما يتنكر العامل للآلة أو لا

يصلي لها يحكم عليه بالموت أو السجن ، لأن شريعة الشيوعية الباطلة الهدامة لا نعترف إلا بالآلة .

كذبة : الشيوعية دين المستقبل

أما تكهن ماركس أن الشيوعية ستصبح دين الانسانية كلها فقد كذبه فيه الواقع أشنع تكذيب ، وها هى الشيوعية بكل وسائلها الإجرامية لم تستطع أن تجذب إنسانا واحداً ذا خلق فى العالم كله اجتذابا يقوم على الحق الصراح ، ولم تستهو - البتة - عالما أو فاضلا أو ذا دين وأمانة إلا عن طريق الخداع وتزييف الحقائق وقلب الأوضاع والغش والكذب ، وطريق الخداع قصير فقد انكشفت الشيوعية على حقيقتها أمام الواعين الفاهمين الذين انخدعوا بها مثل أندريه جيد فكفروا بها وحاربوها .

وكلما أمعنت الشيوعية فى إخفاء بذورها وتزيين شرورها زاد العالم فى حربها ومقاومتها كما تقاوم الأوبئة والمجرمون .

بل إن الشيوعيين أنفسهم تحللوا من كثير من نظم الماركسية ومبادئها وخرجوا عليها لأن أقطابها عرفوا بالغريزة قبل العقل أن سوءاتهم هذه يجب أن يستروها ضمانا لاستمرار حكمهم وسلطانهم وخديعة لمن يبهرهم بريق دعاواهم الكاذبة .

ومن مفتريات الشيوعية الفاضحة المفضوحة أنهم يزعمون أن العالم غير الشيوعي لا يعرف الحرية لأنه أحاط كل شئ بسياج ووثقه بقيد وأثقله بأغلال ، أحاط الرزق بسياج الإحراز وأثقله بقيود التملك ، وأحاط الأموال بالتـــداول وقيدها بالوقف والميراث والإحسان ، وأحاط المرأة بالعفة ووثقها بقيد الزوجية ، وأحاط النفس الإنسانية بسياج العقيدة والخلق وقيدها بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله، أما الشيوعية فتزعم فى فخر وازدهاء أنها أطلقت الحرية ، وألهـَّت العمل ، وجعلت كل ممنوع مباحا ، وكل حريز مشاعا ، وحلت قيود الزوجيـــة ، وفصمت عرى الملكية ، وحطمت أغلال الوطنية ، وكسرت ربقة القومية وقضت على الفردية والشخصية ، فلا أفراد فى بيئة الشيوعية بل جماعة ، ولا شخصية لفرد بل للدولة . الدولة هى الأسرة وهى كل شئ ، هى الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ـ والعياذ بالله ـ ولا حاجة إلي أن تكون فى الدولة شخصيات بعدد سكانها ، بل الجميع فرد ضخم ، ويجب أن يمحى الفرد فى الجماعة ، وتموت المعارضة ، ولا تكون غير الطاعة . الحاكم لا يخطئ ، والمحكوم لا يعترض ، وحرام على الفرد أن يملك فيتكئ علي ملكه فى العيش ويستغني به عن السعى والعمل مهما كان عذره ، لأن من لا يعمل لا يأكل ، وحرام على الأبوين أن يكون لهما أولاد يستنفدون جهودهما وتسيطر

عليهما الأنانية فلا يعملان إلا لهم وحدهم، ويشتغلان بهم عن العمل للدولة ، وحرام على الزوج أن تبقى فى بيتها تدبر أمره وأمر زوجها وأبنائها ، ولو استطاعت أن تتركهم للمطعم العام يتناولون فيه الطعام كما تتناوله هى نفسها منه أحياناً لتركتهم ، وليس بيتها إلا مضجعاً تأوى إليه عند النوم ، لأن المصنع أو الإدارة خالية من المضاجع ، وتدبير الأولاد من حق الدولة لا الوالدين ، الدولة تصهرهم فى بوتقتها وتصبهم فى القوالب المعدة لهم .

إنهم يولدون وينشأون ولا يعرفون الله إلا فى الطاغية ، والوالدين فى الدولة ، والإنسانية فى العدوان ، والحرية فى الفوضى ، والفضيلة فى تلبية نداء الجسد والانقياد للغريزة حتى ينتج للدولة ولد.

حرام على الأولاد أن يرثوا أبويهم الصفات والمزايا ، وحرام عليهم أن يرثوا ما يتركان من مال وعقار ، قضوا على ميراث الصفات بالغاء الزوجية ، وعلى ميراث الأموال بتحطيم الملكية ، وجهلت الشيوعية أن الصفات تورث وإن لم يعرف الولد أبويه ، والمزايا تنتقل من جيل إلى جيل ولو لم يفطن الوارث والموروث منه .

وموجز القول فى الشيوعية والشيوعيين : أن الشيوعية كما نعرفها نحن أهل البلاد المقدسة وكل إنسان عاقل : أشنع ما عرف

من أنواع الكفر والأمه، والشيوعيين كفرة لئام، بل هم شر الكفرة، وكل من تبعهم ممن يتظاهرون بالاسلام مرتد حلال الدم واجب قتله، وكل من أطرى الشيوعية وجب أن يستتاب وإلا قُتِل كفرا.

حمى الله الانسانية من الشيوعية ورعى الإنسان من هذا الشيطان الرجيم. آمين.

المبررون والمخدوعون

لم تقم الشيوعية لانقاذ الطبقة العاملة، ولم تنتشر فى روسيا نفسها بالتشويق والاختيار والإغراء والمنطق، ولم تكن الحرية مكفولة حتى يستطيع الناس أن يقولوا رأيهم فيها، بل ثبتت قواعدها بالعنف والقوة والحرب التى شنتها على أفراد الشعب الروسي الأعزل، وكانت نتيجتها قتل ملايين ونفى ملايين وتشريد ملايين.

لقد أكره الناس فى الاتحـــاد السوفيتى على اعتناق الشيوعية إكراها، وخشيت أن يأتى الانقاذ من الأمم الأخرى وتنشب بينها وبينها حرب لا تربحها فأطلقت فى العالم الأكذوبة الضخمة التى زعمت فيها أن الشيوعية «المنقذ الأكبر» للطبقات العاملة والفقراء والمحرومين

والمحتاجين والقلقين على حاضرهم ومستقبلهم ، وأنها قامت لاغنائهم وإسعادهم ، وأراد من إطلاق أكاذيبها إثارة الطبقات بعضها على بعض لتشتغل كل دولة بمشاكلها الداخلية التى تشعل الشيوعية نيرانها ، فلا تستطيع غزو المذهب الهدام فى عقر داره لأنها تكون مشغولة عنها بالأمن الداخلى .

ولقيت دعوة الشيوعيين بعض الأنصار الأقوياء من أقطاب الفكرة في الغرب ، لأنهم انخدعوا بوعودها وأقوالها وانقلبوا شيوعيين ذوى نفوذ فى الرأى وفى الصحافة وفي المجتمع ، وبشروا بها ، ودافعوا عنها ، وسبحوا بحمدها ليل نهار ، واعتبروها دنيا جديداً .

وسبب ركونهم إلي الشيوعية أن الحضارة الغربية لم تطفىء ظمأ النفوس بعد الحرب الأولى ، وزاد السلام الذى أعقبها قلق النفوس الصابية إلى السلام الحقيقي المأمول ، والمادة قضت على الأشواق الإنسانية وأشعلت الظمأ الروحي إشعالا ، فظنوا سراب الشيوعية ماء .

لم يجدوا فى الحضارة الغربية صونهم إلى السلام والسعادة فظنوا أن الشيوعية تتيحهما وتضمنهما للناس فمالوا إليها .

إن شعورهم بالظلم الاجتماعى فى الغرب ، والرغبة فى التخلص منه

وفى الانتقال إلى عالم أفضل ، والصبوة إلى الكمال حملت أولئك المفكرين الأعلام أن يفيئوا إلى الشيوعية رجاء أن يجدوا فيها ماكان الشيوعيون يعدون به العالم من النعيم والسعادة والعدالة الاجتماعية.

ولم يظن هؤلاء العظماء من بني البشر أن ما يرونه ليس إلا سرابا خادعا ، ومن السهل أن ينخدع الظامىء بالسراب فيطيل السير حتى تكل قدماه ، وقد أطال هؤلاء الحالمون السير ، ولم يعرفوا أن ماظنوه شرابا بارداً سائغاً لم يكن إلا سرابا ووهما وخداعا .

إن هؤلاء المخدوعين صدقوا بالشيوعية تصديقاً أعمى ، ويصوره أحد أقطابهم وهو أندريه جيد أحد أعاظم كتاب فرنسا ومن طليعة الكتاب فى العالم ، يقول جيد — وهو رأى كل المخدوعين فى الشيوعية الذى أفاقوا من غفلتهم — : « إن إيمانى بالشيوعية يشبه الايمان بدين . وإنها البشرى بالنجاة ، ولست أخا إلا لمن دخل الشيوعية عن طريق الحب ، وأرفع صوتى عالياً فى العالم بعطفي على الإتحاد السوفيتى » .

هكذا كانوا ... ولكنهم ندموا وتابوا ، ويمثل توبتهم وندمهم ما كتبه أندريه جيد نفسه الذى يقول : « لقد كنت فى بداية الأمر ساذجا وخاطئاً ، ومن السداد أن أعترف بخطئى لأنني مسئول

عن أولئك الذين قد يضلهم رأيي فى بلادى ويصور لهم الباطل فى صورة الحق ، ولا يصح أن يمنعنى زهو من الاعتراف بالخطأ أو تصدنى كبرياء نفسى ، فالحق أهم كثيراً من نفسى ومن كبريائى ومن الاتحاد السوفيتى نفسه ما دامت البشرية فى خطأ ، وكان خطئى أننى صدقت الأكاذيب التى ظهرت فى الكتب المفقعة بالمديح ، وأعان على خداعى وتضليلى أن الحقائق المدوية عن الشيوعية كانت تروى فى أسلوب الحقد ، والأكاذيب فى براءة وحب » .

وقال جيد : « إلا يمكن أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الأسفل الذى تنحدر إليه الشيوعية ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالانسانية إلي الحد الذى تصل إليه فى الشيوعية ، وإني أحذر الطبقات الكادحة وأحذر كل الناس أن ينخدعوا بالشيوعية وليدركوا أنها أسفل ما عرف فى تاريخ الإنسانية الطويل من مذاهب الهدم والتخريب » .

واندريه جيد فوق مظنة التعصب والحقد ، وكان الشيوعيون يقدسونه ، وعند ما زار روسيا احتفل به ستالين نفسه والكرملين نفسه وأقطاب الحزب أنفسهم .

ومن أمثال اندريه جيد كثير كلهم انقلبوا على الشيوعية

وارتدوا عنها ونفروا منها عند ما رأوها على حقيقتها، ومن هؤلاء: « ريتشارد رايت » الكاتب الزنجى الكبير المناضل فى أمريكا، « ولويس فيشر » أحد أساطين المراسلين البريطانيين والامريكيين المشهود له بالنزاهة والنبل ، و« أرثر كوستلر » ، وهو مجرى ، وقد انضم إلى الحزب الشيوعى فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣١ م ولبث فيه حتى ربيع سنة ١٩٣٨ م حيث خرج على الشيوعية ناقما منددا بها ، وقد أوذى « كوستلر » وسجن وعذب من أجل الشيوعية التى كفر بها. عندما انتهى إلي حقيقتها البشعة ، « وإجنازيو سيلونى » الايطالى ، وقد أسهم فى تأسيس الحزب الشيوعى فى إيطاليا ، وتعرض بسبب اعتناقه الشيوعية للنفي والسجن ، وتولى بعض الحركات العمالية ، ثم لما اهتدى إلي حقيقة الشيوعية حار بها .

ومن هؤلاء المخدوعين: « إينيد ستاركى » الارلندية ، وكان أبوها « ستاركى » من كبار العلماء الخصيصين فى الفلسفة الإغريقية القديمة ومندوبا سامياً للتعليم فى إرلندة ، أما هى فقد تلقت علومها فى كليات انكلترا وفرنسا ، وأحرزت إجازة الامتياز من الدرجة الأولى من أكسفورد فى دراسة الأدب الفرنسى ، ونالت الدكتوراه من جامعة باريس ودكتوراه فى الآداب من اكسفورد ، ومنحت وسام فرقة الشرف « اللجيون دونير » لإسهامها فى الآداب الفرنسية

ومنذ بضع سنين كانت تشغل منصب «محاضرة» فى الأدب الفرنسى بجامعة اكسفورد ، و«زميل» فى كلية «سومرفيل» .

وكانت من أشد الكتاب تحمسا للشيوعيـة حتى انكشف لهـا أمرها الواضح فلعنتها .

« وستيفن سبندر » شاعر انكليزى وناقد أدبى ، وأبوه الكاتب الحر المعروف «إدوارد هارولد سبندر» — وهو الآن يجمع أشعاره وقصائده ليطبعها فى ديوان — وقد انضم إلى الحزب الشيوعي مخلصـاً لمبادىء ماركس ولينين ، ولكنه سرعان ماخرج عليهـا ساخطاً مشمئزا منها .

«وريتشارد كروسمان» النائب البريطانى، وكان مبرزا فى الفلسفة والأدب ، وظل فى اكسفورد يدرس فلسفة أفلاطون والعلوم السياسية ثمانية أعوام ، آمن بالشيوعية ثم لما عرف حقيقتها حاربها حربا لا هوادة فيها .

وغيرهم كثير كلهم ارتدوا عن الشيوعية حينما وقفوا على حقيقتها وأصبحوا من أشد خصومها الألداء .

وليس بين من استهوتهم الشيوعية أو اجتذبوا اليها ـ باستثناء بعض المخدوعين ـ عالم فذ ، أو أديب مبدع ، أو فيلسوف كبير ، أو مفكر

عظيم برغم مايزعم الماركسيون أن مذهبهم هو «المذهب العلمى» وهو المذهب الذى يفسر التاريخ تفسيرا علميا ، وهو المذهب الذى يقوم على الحرية والعدالة والمساواة . إلى آخر هذه المفتريات التى تتبجح بها الشيوعية .

ليس بين من استوتهم الشيوعية أحد من هؤلاء العلية فى العلم والفكر والفن ، بل كل أنصارها والمستجيبين لها والمجذوبين إليها يمتازون بضحولة الفكر وفسولة الرأى وضعف العقيدة وخور العزيمة وانفجار اليأس والقنوط فى نفسه والنقمة من الناس والتبرم بالواقع والحياة ، لا لأنه أكبر من الحياة وأعظم من الناس ، بل لأن أغلاله من العبودية والرق والدناءات وفقدانه الصفات الإنسانية لا تمكنه من السمو فينقم على الأعلياء حتى يهبط بهم إلى الأغوار التى يحيا فيها ، ولأنه لا يستطيع عرض سوءاته والمباهاة بالرذائل والتفاخر بالكفر إلا فى ظل الماركسية ، فهو يعتنقها لأنها شريعة المنكرات .

وما سمعت بشيوعى أو قرأت عنه أو رأيته إلا وجدته فاقد الكرامة الإنسانية والرجولة ، ويعيش عالة على غيره، ويتمرغ فى « البطالة » والتشرد ، ويضمر الشر لكل برئ نظيف من خلق الله ، أو مجد وعالم تتكشف له الحقائق ، أو غرا ، أو ممن أضله الله على علم .

الختام

وختام القول فى الشيوعيـة أنهـا مذهب لايصلح للتصـدير من روسيا لأنه غير معقول أن المذهب الذى يخفق فى بلده ولاينجح إلا بالإرهاب والقوة ، يصلح للتعامل فى البلدان الأخرى التى تدين بالمثل والفضائل والأديان .

إن الشيوعية مذهب لايصلح للسيادة والحكم لأنه قائم على الحقد والكراهية وإثارة الفتن والبغضاء بين الناس جميعـاً ، وفيما سبق من هذه الكلمات الدليل كل الدليل مما اقتبسناه من أقوال أئمتهـا وأتباعها وأقطابها على أن الشيوعية ـ لكى تسود ـ يجب أن تهدم وتدمر مالايتفق مع باطلها وشناعتها .

وكيف يصلح مذهب ينكر وجود الله ويتهم الأديان ويحارب المؤمنين ويقول فى استخفاف وكبرياء : لاإله إلا المادة ، أما غيرها فباطل وعدم .

ويكفى لمحاربة مذهب من المذاهب أن ينكر أى أمر من أمور الغيب مما يؤمن به الذين يدينون بأحد الأديان السماوية ، فاذا كان الإنكار منصباً على الخالق وعلى البعث وعلى الرسل وعلى كل عقيدة

صحيحة وجب أن يمقت ويحارب بكل مافى وسع البشر .

وإذا صحب هذا الإنكار هدم المثل التي يعرفها غير المؤمنين المتدينين وجب أن يحارب حرصا على المجتمع الذي يدين بالمثل ويجعل للقيم الإنسانية اعتبارا أيما اعتبار .

وإذا كان هذا المذهب يقضى على الحرية الشخصية قضاء تاماً ليفنيها بما تسميه دولة أو مجتمعاً خالياً من الطبقات أو جماعة كبيرة واحدة لا تعدد لشخصيات أجزائها فان من الطبيعي أن يكون مذهباً لا نجد لها متسعاً بين فصائل الحيوان ، فكيف إذا أريد تعميمه بين الآدميين ؟

يجب حينئذ أن يتكتل البشر ضد هذه القوة الشريرة .

وإذا عرف القارئ مما مر به أن أمن الشيوعية كامن في إخافة الآخرين ، وأن الشيوعية هى التى تهدد السلام العالمي وتهدد أمن الشعوب فرادى وجماعات ، وأنها استبدلت بالرأسمالية أفظع أنواعها وشرها ، واستباحت لنفسها كل وسيلة لا يرضى عنها « الانسان » فان من الطبيعي أن تجتمع كلمة الأمم بل الإنسانية كلها وتتحد جهودها للقضاء على هذا الشر الذى لم تر الأرض مثله في ماضيها ولن تشهده فى مقبل أيامها .

ويكفى أن الشيوعيين أنفسهم ابتعدوا عن قواعد الماركسية فى كثير ، وإن كان أساسها مايزال قائماً .

إن أساسها إنكار الخالق وهـذا مايزال كما كان وكما رأى ماركس وإنجلز ولينين وغيرهم .

ويشاء الله أن يظهر كذب دعاوى الماركسيين إذ زعموا أن النظام الذى وضعه ماركس لن يتغير ، وزعموا أنه باق أبد الدهر لا يلحقه تغيير ولا تبديل .

زعموا - هذا وما زلوا يزعمون — إلا أن الله أظهر كذب دعاواهم وبطلان تكهناتهم ، فلم تتحقق دعوى واحدة إلا لتقوم الأدلة على كذبها ، ولولا تحققها لما ظهرت عللها وسقمها ، ولم يتحقق تكهن واحد إلا ليعقبه تكذيبه من الواقع ومن المادة التى يؤمن بها الماركسيون .

لقد لحق التبديل والتغيير كل قواعد المذهب وأسسه ، فالأسرة قامت من جديد لأن روابطها كانت أقوى من أن تنفصم تحت ضغط الإرهاب والتقتيل ، والملكية اعتُرف بها وإن كان تحت ستار من التضليل الذى يتفق مع حقيقة هذا المذهب الهدام .

واعترفوا بالوطنية والقومية وبلغت بهم الوطنية العمياء والقومية

الخرقاء حد الهوس والجنون فأقاموا « التصعب الجنسى » على شر ما تقام عليه العصبيات .

ورفع النقد الأدبى رأسه بعد أن قطعوه أكثر من أربعين عاماً ، فصارت الصحف الروسية تنشر النقد، ولكن ليس للأداة الحكومية وجهاز الحكم ومن بيدهم مقادير البلاد ، ومع هذا فهو بشرى خير ، لأن أحدا من النقاد ما كان يجرؤ أن ينقد أثرا فنيا إلا اتهم بالخروج على المذهب وعوقب شر عقاب .

كما أن النقدالعلمى كان حراما ، ويكفى أن أى نقد علمى لرأى عالم شيوعي فى مجال العلوم كان كافياً لأن يقود صاحبه إلى الجحيم .

بل كان تقرير الحقائق العلمية « جريمة » فاذا قال عالم : إن ماركوني مخترع اللاسلكى أجرم فى حق الوطن أو المذهب .

أما الآن فقد خففوا من « الضغط » قليلا ، وما أظن مردهذا إلى العقل وابتغاء الخير ، بل إلى الخداع ، كما أباحت ـ خداعاً ـ قبل بضع سنين حرية العبادة ثم قضت على المتعبدين، ولعل هذه طريقة شيوعية جديدة فى الكشف عن الذين يحبون الحرية حتى تستأصلهم .

ومهما كان الأمر فمصير الشيوعية المحتوم معروف ، ولن يكون هذا المصير إلا الفناء نهاية مذاهب الهدم والتخريب .

وستتبدل الشيوعية على يد أتباعها قبل أن تتغير على يد أعدائها ثم تلقى المصرع الذى يسلمها إلى القبر فترتاح الانسانية من هذا المذهب الباطل الهدام .

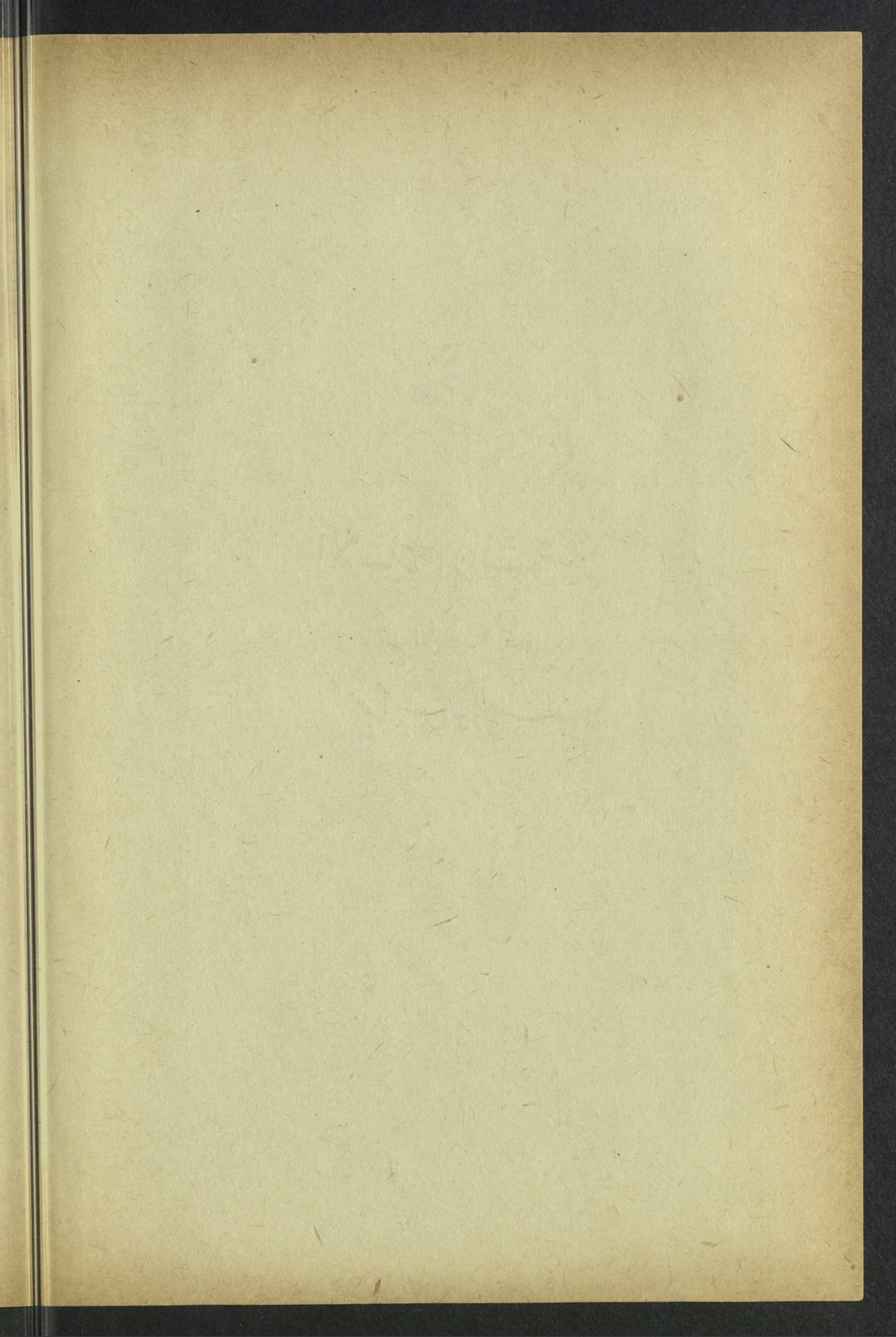
مكة   احمد عبد الغفور عطار



الاسلام والشيوعية

بقلم الأستاذ الكبير

عباس محمود العقاد



اطلع ماركس وإنجلز على بعض مراجع الانثروبولوجي - علم الإنسان التي تكلم أصحابها عن عبادات القبائل الأولى لأنهما يستدلان بأحوال المجتمع فى تلك القبائل على سبق النظام الشيوعى البدائى - لنظام الملك الخاص والطبقة المستأثرة بوسائل الإنتاج ، ولكن لا يظهر من كلامهما على الأديان الكبري أنهما توسعا فى الاطلاع عليها ، ولا يظهر من كلامهما العاجل عن الإسلام والمسلمين أنهما اطلعا على قواعد الإسلام كما يفهمها من يتصفح القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فضلا عن أقوال الأئمة والحكماء الإسلاميين .

إننا مطالبون بافراد القول عن الإسلام فى مذهب الشيوعيين ، لأننا أحق من الكتاب الغرباء عنه بجلاء الشبهات التي يوردها عليه من يجهلونه أو يسيئون النية فى تصوره وتصويره ، ونزيد على ذلك أن دراسة الشيوعية فى آرائها عن الدين خاصة تستوجب دراسة الدين الإسلامى قبل غيره من الأديان العالمية الكبرى ، لأنه يتضمن وحده معظم الشواهد التى تدحض آراء الشيوعيين فى نشأة الدين ، ولأن الإسلام نظام اجتماعي إلى جانب عقائده وشعائره الدينية ، ونظرة الشيوعيين إليه فى دور تطبيق المذهب الشيوعي على الخصوص كنظرتهم إلى مزاحم خطير يخشون منه أن ينازعهم السلطان على عقول الأمم وضمائرها فى مسائل الأخلاق والمعاملات ،

مع ما يوحيه إلى العقول والضمائر من إيمان وثيق لا طاقة به لفلسفة الحياة كما يبسطها الماديون .

* * *

فعلى صفحات وجه هذا الدين الحنيف — ولا إيغال فى أعماقه بعد — حجة ناهضة لا تنهض معها حجة للذين يزعمون أن الدين خدر للشعوب يروضها على الفقر والمسكنة ويلهيها بالآخرة عن نعيم الدنيا ليستأثر به سادة المجتمع ويغتصبوا منه علانية أو يسرقوا منه خلسة ما طاب لهم أن يغتصبوه أو يسرقوه .

فالإسلام يأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا ويأمره أن يأخذ من طيباتها ، ويعيد عليه هذا الأمر فى آيات متعددة من القرآن الكريم .

﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله﴾ .

﴿ياأيها الذين آمنوا كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾ .

﴿ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ .

وليس من الإسلام أن يتجرد المسلم من زينة الدنيا ليقبل على الآخرة ، بل هو مأمور بأن يأخذ نصيبه من الزينة وهو بين يدى الله ، وأن يعد زينة القوة من نعمه التى يشكره عليها .

﴿ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ .

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ .

ولم يخطر لعدو من أعداء الإسلام أن يتهمه بتحسين الجبن والاستكانة لأتباعه ، بل خطر لهم أن يصفوه بنقيض ذلك ويبالغوا فيما وصفوه فيقولوا عنه إنه دين السيف أو دين القتال .

ولا مبالغة فى وصف الإسلام بهذه الصفة إلا أن يكون معناها عند قائلها أن الإسلام يعرف السيف ولا يعرف غيره ، أو أنه يضع السيف فى غير موضعه ، ويبطل الحجة والبرهان جهلا بها حيث لا موضع للغلبة والإكراه .

وليس السيف من شريعة الإسلام بهذا المعنى ، فقد كان الإسلام مبتلى بسيوف أعدائه قبل أن يكون له سيف يذود به عن

نفسه ، ولم يأمر الإسلام قط بتجريد السيف عدوانا على أحد ، ولم يجرده قط في سبيل الدعوة إلا ليحارب به قوة تقاوم الدعوة بالسيف ، فحارب الدولة البيزنطية والدولة الفارسية لأن الخلاف بينهما لم يكن خلافا على الحجة والإقناع ، وفعل ذلك بعد إبراء الذمة من دعوة العواهل المتحكمين فى بيزنطة وفارس إلى الكلمة السواء ، فلما أعرضوا عنه وتوعدوه وحالوا بينه وبين أسماع الناس جرد عليهم السيف إذ لا محيص له من تجريده ، وكان الاحتكام إلى السيف هنا كأشرف ما يكون الاحتكام إليه فى قضية من قضايا الدنيا أو الدين .

وأصدق ما يقال عن الإسلام فى أمر السيف أنه يأمر بالسيف لأنه ينهى عن الجبن وينهى عن العدوان ، ولم يأمر به ليوضع فى غير موضعه أينما كان .

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ .

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ .

ومقاتلة البغى واجبة على المسلم كلما أوجبتها الضرورة فى صد

العدوان من الأجانب عنه أو فى صد العدوان بين طائفة وطائفة مثلها من المسلمين: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ .

والمسلم فيما دون الحرج الذى يوجب القتال لا يعفى من إصلاح السيئات التى يؤمر باجتنابها ، إذ هو مطالب بتقويمها إذا استطاع بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . ومن الواجبات الاجتماعية المفروضة على الجماعة فى الإسلام أن يكون منها آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ، يتولون عنها هذه الفريضة التى لا تنساها جماعة إنسانية إلا بادر إليها الفناء . ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، وما هلكت الدول كما جاء فى الكتاب الكريم إلا لأنهم ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ . وقد حق الهلاك على المستضعفين لأنهم يعتذرون بالضعف وهم قادرون على النجاة بأنفسهم من الخضوع للسادة المتحكمين فيهم : ﴿ قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ .

ومهما يتعنت صاحب الهوى فى توجيه الكلمات ومعانيها فما هو

بقادر علي أن يتخذ من أوامر الاسلام حجة لتسخير المجتمع فى خدمة أصحاب الأموال أو القابضين على وسائل الإنتاج كما يقول المتسرون الماديون للأديان . فقد كان السادة في الجزيرة العربية يربحون من الربا المضاعف ومن احتكار التجارة فجاء الاسلام بتحريم هذا وذاك أشد التحريم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء لقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

ويمنع الاسلام الاحتيال بالمتاجرة بالأعيان سترا للربا الذى يحرمه ، وفى ذلك يقول عليه السلام : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يداً بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

ومن الاحتكار الممنوع أن يجتمع المال فى أيدى طبقة من الأمة « كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم » .

ومن المحتكرين من يكنزون الذهب والفضة والقناطير المقنطرة ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ .

فاذا قيل عن هذه الأوامر والنواهى أنها خدمة لأصحاب الأموال وتيسير لاستغلالهم أرزاق الفقراء فليس للكلام من معنى يقبله العقل أو يأباه .

ولم يكن فى سنة الإسلام أن يبيح لمنكر أن يقول كما قيل كثيرا إن الشرائع إنما توضع للفقراء ولا تسرى على الأغنياء . فقد كانت التفرقة بين الناس فى الحدود أشد ماحظره النبى وحظر منه قومه ، وكان ممن وجب عليهم الحد فى حياته عليه السلام سيدة من أسرة مخزومية فشفع لها عنده أسامة بن زيد فزجره وقام فى الناس خطيباً فقال : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

* * *

ولنا — بعد — أن نمتد بأطراف البيئة الإجتماعية التي نشأ فيها الإسلام إلى أقصى تخوم الجزيرة العربية ، فلا نرى فى هذه البيئة الكبرى حجة لمن يقول إن الدين ينشأ فى البيئة لخدمة سادتها واستبقاء سيادتهم عليها .

فقد كان سادة العرب على خصلة لم يشتهروا بخصلة أشهر

منها ، وهي الكبرياء بالنسب والعصبية العربية .

كانوا فيما بينهم يفاخر بعضهم بعضا بعراقة الأصول والأجداد، وكانوا فى جملتهم يفاخرون الأمم بالنسبة العربية ويسمونها الأعاجم كأنها كانت عندهم خلقا من الحيوان الأعجم ، وكان أميرهم يترفع عن مصاهرة الأكاسرة وهو تابع لهم فى دولتهم ، لأن عزة الملك لاترفعه إلى مقام الكفاءة العربية ، فلو صدق القائلون بأن الدين من إملاء السادة فى بيئتهم لما خرج من هذه البيئة دين إنسانى يخاطب الناس كافة ويستنكر المفاخرة بالأنساب والعصبيات ويسوى بين العرب والعجم وبين القرشى والحبشى بل يفضل الأعجمى على العربى والحبشى على القرشى إذا فضله بالصلاح والتقوى .

وقد كان الإسلام صريحا فى هذا الأدب الإنسانى منذ نشأته الأولى ، ولم تأت فيه وصايا المساواة عرضا فى سياق وصاياه النافلة التي تستحب ولا تكره مخالفتها ، ولكنها جاءت فى الكتاب الكريم والأحاديث النبوية مؤكدة مقررة على صيغة لا هوادة فيها ، وكانت سنة النبي عليه السلام فى توكيدها وتقريرها من السنن التى لاتخفى على أحد من أصحابه فيما عم أو خص من قدوة حياته الشريفة ، صلوات الله عليه .

فمن القرآن الكريم نعلم أن النبي صلوات الله عليه مرسل للناس

كافة ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ وأن الناس أمة واحدة : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وإن الحياة الباقية لا أنساب فيها ولا فضل فيها لغير العمل الصالح والكفة الراجحة : ﴿ فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

والنبى صلوات الله عليه يقول : « لافضل لعربى على أعجمى ولا لقرشي على حبشى إلابالتقوى » ويتمم بلاغ الرسالة فيقول فى خطبة الوداع « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد : كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى » .

وكان أبو ذر الغفارى من أقرب الصحابة إليه عليه السلام ، ولكنه سمعه مرة يقول لرجل أسود : يا ابن السوداء . فبلغ به الغضب غايته وعبر عليه السلام عن ذلك بامتلاء الكيل ، فقال : طف الصاع ! وأعادها مرة أخرى ، ثم قال : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى و بعمل صالح .. » .

هذا الأدب الإلهى الذى لا تفاضل فيه بين الناس بغير الأعمال

قد نشأ في وكر الأنساب والعصبيات ، فليس في نشأته هذه مايفسر نشوء الأديان لخدمة السادة في المجتمع واستبقاء سيادتهم عليه .

وإذا خابت الفلسفة المادية في تفسير نشأة الإسلام باملاء البيئة أو باملاء السادة عليها فانها لأخيب من ذلك في تفسير هذه النشأة باملاء الديانات التي سبقت الإسلام واتصل أتباعها بالجزيرة العربية. فان اليهود كانوا يدينون بأن إسرائيل شعب « يهوا » وأن يهوا إلـه إسرائيـل ، وإن أبناء إبراهيم من سلالة إسحاق هم دون غيرهم المفضلون بموعد الرضوان ، ولما ظهرت المسيحية بين أبناء إسرائيل توجهت بالدعوة اليهم أول الأمر لأنها تحمل البرهان إليهم في مواعيد الأنبياء التي يدينون بها ، واتفق في أوائل الدعوة كما جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس — « أن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت بالسيد المسيح فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت أممية وفي جنسها فينيقية سورية، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها فقال لها : دعي البنين أولا يشبعون. ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فأجابت وقالت : نعم ياسيد ! والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل من فتات البنين ، فقال لها : لأجل هذه الكلمة اذهبي . قد خرج الشيطان من ابنتك . . » .

وأصرت إسرائيل على الإعراض عن الدعوة المسيحية فاتجه

بها السيد المسيح إلى الأمم وضرب المثل لهم بالمدعوين إلى وليمة يرفضونها فيشهدها من حضرها بغير دعوة : « إذ أرسل الداعي عبيده فى طلب ضيوفه فقال هذا : إنى اشتريت حقلا وعليَّ أن أخرج فأنتظره ، وقال ذاك : إني اشتريت أزواجا من البقر وسأمضى لأجربها . . فغضب السيد وقال لعبده : اذهب عجلا إلى طرقات المدينة وأزقتها وهات إلى من تراه من المساكين . . فعاد العبد وقال لسيده : قد فعلت كما أمرت ولايزال فى الرحبة مكان . قال السيد : فادع غيرهم من أعطاف الطريق وزواياه حتى يمتلىء بيتى فلن يذوق عشائي أولئك الذين دعوت فلم يستجيبوا الدعاء » .

ثم انتشرت الدعوة فى غير بني إسرائيل ، وكان من استجاب لها أولى بها ممن أعرض عنها ، لأنهم أصبحوا « أبناء إبراهيم بالروح » .

ثم جاء الإسلام من جوف الجزيرة العربية ليعم بالدعوة أبناء آدم كافة ، ومنهم أبناء إبراهيم بالجسد وأبناؤه بالروح ، فلم يكن فى نشأته ما يفسره إملاء السوابق الدينية أو يفسره إملاء البيئة العربية ، وجاء مع دعوته الإنسانية بآدابه الاجتماعية أو الفردية التى يكابر المتعنت فى تعنته ما استطاع المكابرة ولا يستطيع أن يفسرها بممالأة الأغنياء والمحتكرين أو بأنها خدر للنفس يروضها

على الذل والاستكانة أو يلهيها عن الدنيا بخيال الآخرة ، فان الفجوة الواسعة بين حقائق الإسلام وهذه التفسيرات المادية تلوح للناظر من اللمحة الأولى ولا تجشمه أن يتعمق إلى قرارها .

وكأنما قُضي على الفلسفة المادية أن تبتلي بكل حجة من قبل الإسلام على أوفاها . فلا توسط بين حقيقة الإسلام وبين فروض الفلسفة المادية : دعوة عالمية من طرف تقابلها من الطرف الآخر تبعة فردية يستقل بها الإنسان في طويته كأنه وحده عالم قائم بنفسه :

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾.

﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾.

﴿قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾.

إن هذه التبعة تكليف لا يدين به ضمير يتعاطي من الدين خدرا يذهله عما حوله وينسيه ما هو حق له وما هو واجب عليه ، وحسب الإسلام عند الشيوعية أنه يفندها هذا التفنيد الصادح في جميع مقوماته ليستحق منها عداوة شديدة تخصه بها بين الأديان العالمية التي يتبعها

ملايين الخلق فى الزمن الحاضر . إلا أنها ـ على هذا ـ كانت تعمه وسائر الأديان بعداوتها ولا تميزه بعداوة خاصة وهى فى دور الدعوة وترويج النظريات ، وظلت كذلك حتى دخلت فى دور التطبيق وحلت محل القيصرية الروسية فى علاقتها بالعالم الأسيوى داخل بلادها وعلى تخومها ، فاستجدّ لها من أسباب العداء له سبب أقوى لديها من كل سبب ، لأنها وجدت فيه نظاما اجتماعيا يتعرض لكل مشكلة من مشكلاتها ، ولم تجد مثل هذا النظام لملة من الملل التى تعاملها وتجتهد فى نشر الدعاية بين أبنائها .

فالنظام الاجتماعى — أوالسياسى — الذى أخذت به اليهودية قبل عشرين قرنا لا يسرى اليوم على بقعة من الأرض ولايخشي منه على الدعاية الشيوعية فى المستقبل، والمسيحية قد نشأت بين مزدحم الشرائع والنظم السياسية من جانب الهيكل وجانب الدولة فتركت معترك السياسة وقصرت دعوتها على الأخلاق والعبادات .

أما الإسلام فقد نشأ فى بيئة يتركها للفوضى والاختلال إن لم يأخذها بنظام واف من نظم الحكم والتشريع ، وقد أخذها بهذا النظام وأودعه من دواعي التوفيق مايلائم الزمن بعد الزمن والبيئة بعد البيئة ولا يضيق فيه باب الاجتهاد كلما وجب الرجوع إليه في أحوال غير الأحوال التي نشأت فيها الدعوة الإسلامية، وجاء القرن

العشرون ولم تفارقه مرونته التي تصلح للحياة العصرية ولا تستعصي مع الزمن على التجديد ، ولا يخفي أن العهد بالأديان العالمية التي يتبعها الملايين أنها تملك هــذه الحيوية لتعيش بها فى الأجيال المتعاقبة ، أو تفقدها فتنحل وتزول ويخلو مكانها لدعوة من الدعوات كيفما كانت ، أو تتخبط فى مكانها بين الإنكار والشك والبوار ، فكانت للاسلام هذه الحيوية التي أعيت خصومه فى حرب الاستعمار وحرب الإلحاد والإنــكار .

ومن أجل هــذه الحيوية جردوا له كل ما تجرده الدولة ذات المــذهب على خصوم مذهبها ، وشنوا عليه حملة شعواء من أشنع حملات القمع والاضطهاد ، وحملة أخرى فى مثل شناعتها من حملات التشويه والتشريد مع تكميم الأفواه عن المناقشة أو الدفاع .

ونحن لانستقصى فى هذا الكتاب أخبار القمع والاضطهاد التى ترامت إلينا من أرجاء العــالم الاسلامى فى القارة الأسيوية ، لأن استقصاء هذه الأخبار موكول إلى مقصد آخر غير مقصدنا من بحوث هذا الكتاب ، وهو مناقشة المبادىء والآراء ، والإبانة عن مواطن الضعف والخلل فى أساسها الذى تقوم عليه ، وقد يغنينا عن استقصاء تلك الأخبار في عرض الطريق أن نشير إلى «مصادرة» الفريضة التى تظهر مصادرتها على البعد ولا يجدى فيها التكذيب

والتمويه ، تلك هى فريضة الحج فى كل عام . فان حجاج الأمم الإسلامية كانوا يلتقون فى مكة بالألوف من أبناء الأقطار الأوربية والأسيوية الذين كانوا يخفون إلى الأماكن المقدسة كل عام قبل قيام الدولة الشيوعية ، فلما قامت هذه الدولة امتنع وفودهم سنوات ، ثم وصل منهم من استطاع الوصول بعد ذلك فلم يجاوز عددهم ثلاثين أو أربعين حاجا فى كل مرة ، كان يبدو عليهم أنهم يحسون فيما بينهم رقابة شديدة عليهم ، وأنهم ربما كانوا مندوبين لغرض يحملون عليه غير أداء الفريضة .

وتلاحقت - فى خلال حملة القمع والاضطهاد - تلك الحملة الأخرى من حملات التشهير والتشويه ، ونمت عليها أقوال الصحف والنشرات وبعض الكتب الموسوعة التى تقضي عليها مادتها باستيعاب موضوعاتها ، ومنها موسوعة الثقافة الشيوعية ، فانها وصمت الإسلام بوصمة الرجعية ومعاونة الاستغلال ، واعتبرته من عقبات التقدم وموانع الحضارة العصرية ، وأفردته بالعدواة التى تستحقها كل عقيدة تصلح لمنازعة المذهب المادى على ضمير الإنسان .

* * *

وما كانت الخصومة الشيوعية لتتورع عن الدعاية الرخيصة كلما أعوزتها أسانيد الدعاية المقنعة . لأن الاقتناع سابق للدعاية فى

خطط الشيوعية ، وأرخص ماتكون دعايتهم إذا آنسوا العجز عن إقناع خصومهم ، ومن هذا القبيل كانت حملة التشهير والتشويه التى اصطنعوها فى دعايتهم على الإسلام فليس لها من معنى يخرج به القارىء من جملتها وتفصيلها غير معني واحد ، وهو أن الاسلام لم يتنزل فى القرن العشرين .

فما كان دين من الأديان ليهاجَم بدعاية أرخص من هذه الدعاية المفروغ منها . لأن الأديان لا توجد لتلغي وتعاد كل صباح ومساء فاما أن توجد لتدين أمة فى أجيالها المتعاقبة أو لا توجد على الإطلاق ولا يتصور لها وجود ، وإذا كان طول الأجل مأخذا على الدين فالإسلام لايؤخذ بهذا المأخذ الهزيل ،لأنه آخر الأديان الكتابية فى تاريخ الظهور .

إنما تؤخذ على الإسلام آدابه وفرائضه التى جاء بها يوم ظهوره، وإنما تؤخذ عليه هذه الآداب والفرائض إذا جاءت رجعية في حينها لا تصلح شيئا مما تصدت لإصلاحه ولا تفتح فى الغد طريقا للمصلحين .

ولم يكن الإسلام كذلك من وجهته العامة ، ولا كان كذلك من وجهة المآخذ التى أحصاها عليه الشيوعيون ، وأهمها الرق وتعدد الزوجات وحدود العقاب وشروط المعاملات الاقتصادية ،

وسنرى أن الإسلام لم يأت بحكم من الأحكام فى مسألة من هذه المسائل إلا كان فيه إصلاح للحالة التى كان عليها في عصر الدعوة ، وحض على الإصلاح فى العصور المباشرة التى تليه .

فالإسلام لم يشرع الرق الذى كان مشروعا قبله فى جميع الأديان الكتابية وكان الفيلسوف « أرسطو » يسوغه بآرائه الاجتماعية والسياسية ، ويقسم الجنس البشرى إلى فريقين : فريق يعمل بعقله ومشيئته ، وفريق يؤدى للفريق الأول أعماله كما تؤديها الآلات .

لم يشرع الإسلام الرق بل شرع العتق وحض عليه وجعله من وسائل القربى والتكفير عن السيئات .

وما أباحه الاسلام من الرق لا يزال مباحاً إلى اليوم بين أمم الحضارة فى حروبها . فان الأسرى يعتقلون ويسخرون فى العمل ولاتفك قيودهم إلابالمبادلة أو سداد الغرامة والتعويض ، وهذا هو الرق الذى أباحه الإسلام وأوجب معه المن بالعفو أو الفكاك أو المكاتبة :﴿فاذا لقيتم الذين كفروافضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ ولا يبيح الإسلام استرقاق الأسير فى كل قتال ، بل يشترط في القتال نأ يعلنه الإمام مع عدو لا ذمام معه ولا معاهدة ، ويأمر بمعاملة الأسرى معاملة لايحلم بهاأسير فى حرب من حروب الحضارة الحديثة

وينهي أن يذكره صاحبه فيسميه «عبدى» مؤثراً على هذه التسمية الزرية أن يدعوه « بفتاى » كما يدعوابنه فى كثير من الأحيان ، وإذا كان الإسلام لايسوي بين الأحرار والعبيد فى جميع الحقوق ، فالأسرى في العصور الحديثة لا حقوق لهم ولا مساواة بينهم وبين من يأسرونهم ما داموا على ذمة الفكاك أو الفداء ، وغايه الفرق بين العصر الحديث والعصر القديم أن الدول فى هذا العصر تتولي المبادلة على الفداء بعد معاهدة الصلح بين الغالب والمغلوب ، وأما فى العصور الغابرة فلم تكن للدول عناية بهذه المبادلة ولا بالتعاهد على الصلح فى جميع الأحوال ، ومن لم يفده أهله من الأسرى فلا شأن به للدولة التي كان ينتمى إليها ، ولا استثناء لذلك فى شرائع الحرب والسلم إلا بعد قيام الدولة الإسلامية وتفرقتها بين الأمم المسالمة والأمم المعاهدة والأمم المقاتلة ، فان الدولة الاسلامية قد أوجبت على الإمام فكاك الأسرى من جنوده ما استطاع .

* * *

والنظام الاجتماعى الذى جاء به الاسلام قد صنع فى مسألة تعدد الزوجات ما قد صنعه في مسألة الرق : حالة سيئة تعانيها المرأة من حرمان المجتمع والقانون أصلحها الإسلام ومهد لمسايرة التقدم الطبيعي الذى يأتى مع الزمن من ضروب الإصلاح .

وعلينا قبل الاستطراد إلى الكلام عن مركز المرأة فى الاسلام أن ندفع وهما يعلق بالأذهان عن الأديان الكتابية وتعدد الزوجات فان الشائع بين الغربيين والمتفرنجين من الشرقيين أن الاسلام هو الدين الكتابي الوحيد الذى لم يحرم تعدد الزوجات ، وذلك وهم يخالف النصوص ووقائع التاريخ . فان تعدد الزوجات بغير قيد هو القاعدة الغالبة فى زواج الآباء والأنبياء الذين ذكرت زوجاتهم فى كتب العهد القديم ، وليس فى الأناجيل نص علي تحريم ما أباحه العهد القديم ، ولكن الآباء الأوائل فى المسيحية كانوا يحثون على الرهبانية ويستحسنون للأسقف أن يكتفى بزوجة واحدة إذا لم يستطع أن يترهب، لأن شراً واحداً أهون من شرين . وقد أفتى القديس أوغسطين في كتابه عن الزواج الأمثل باباحة التسرى لمن عقمت زوجته وثبت عليها العقم ، وحرم مثل ذلك على المرأة التى يعقم زوجها لأن الأسرة لا يكون لها غير سيد واحد (De Bono Gonjugali xv) وكان لشرلمان أولاد شرعيون من عدة زوجات معترف بهن، وبحث المشرع المشهور جروتيوس Grotius موضوع تعدد الزوجات من الناحية الفقهية فصوب شريعة الآباء فى العهد القديم ، وقال وسترمارك Westermark المؤرخ الحجة فى شئون الزواج إن الكنيسة والدولة كانتا تقران تعدد الزوجات إلى القرن السابع عشر وكان يقع غير نادر فى الحالات التى لا تحفظ فى سجلات الكنيسة أو الدولة .

فالإسلام لم ينفرد بين الأديان الكتابية بإباحة تعدد الزوجات ، ولم يوجبه على أحد لأنه أباحه ، بل أوجب على الزوج أن يعدل فى المعاملة إذا بنى بأكثر من زوجة ، وصرح القرآن الكريم بصعوبة العدل بين النساء ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾.

فحكم الإسلام فى تعدد الزوجات هو الحكم المطلوب من كل شريعة تقابل كل حالة محتملة ، ولو وقعت فى كل ألف حالة حالة واحدة يكون فيها تعدد الزوجات خيراً من الطلاق أو من العقم لعيب على الشريعة أن تتجاهلها ولا تحسب حسابها ، وإنه لمن السخف أن يقال إن تطليق الزوجة المريضة أو قبول العقم أفضل فى جميع الأحوال من الجمع بين زوجتين ، وإنه لأسخف من هذا أن يقال إن متاجرة المرأة بعرضها عند التفاوت بين عدد الرجال والنساء أكرم من تعدد الزوجات ، وإنه لمن النفاق السمج أن يقال إن الاغضاء عن الاباحة الفعلية يجعل الشريعة صالحة لقديسين يبنون بقديسات ، ويجعل الدنيا سماءً للملائكة لا يقع فيها إلا ما ينبغى أن يقع فى السماوات ، وأنه ما على الشريعة إلا ان تقول إن الناس كذلك ليكونوا كذلك طائعين أو راغمين ، ثم يعلموا أنهم كذلك وهم يعلمون رجالا ونساء أن الزواج الذى يخرج عليه الزوجان معدود بعشرات الألوف . ولقد يعذر من يرى أن الزواج علاقة لذة ومتعة جسدية إذا أغضى عن الفارق الطبيعى بين الجنسين ،

ويعذر مثله من يرى أن انقطاع النسل فضيلة فى حالتى الرهبانية والزواج ، ولكنه لاعذر لمن يؤمن بأن الزواج للنسل ثم يتجاهل التفرقة الطبيعية بين وظيفة الذكر ووظيفة الأنثى فى الحياة النوعية ، فان هذه التفرقة لا تهمل كل الاهمال إلا تباعد ما بين الطبيعة وبين المجتمع من وشائج الحياة . وليس من المطلوب أن يلد الرجل من مئات النساء ، ولكنه لايكون فى جميع الأحوال كالمرأة التى لا تلد إلا من رجل واحد فى عدة شهور .

* * *

قلنا إن الاسلام قد عالج تعدد الزوجات كما عالج الرق فى عصر الدعوة : حالة سيئة أصلحها ، وتطور منظور مهد له وأشار إليه ، ولم يضع قط عقبة فى طريقه .

والحالة السيئة التى أصلحها الإسلام أن تعدد الزوجات كان مباحاً مطلقاً من كل قيد فى البلاد العربية وفيما جاورها ، وكان رأي المرأة فى الزواج مهملا لايعتد به سواء خطبت لرجل متزوج أوغير ذى زوج ، فقيد الإسلام هذه الاباحة المطلقة وجعل للمرأة رأياً مشروطاً فى زواجها ، ونبه الرجل الذى يتزوج بأكثر من واحدة إلى وجوب العدل فى المعاملة ، ثم نبهه إلى صعوبة العدل وفضيلة الاكتفاء بزوجة واحدة ﴿ فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ .

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ ، إصلاح ليس بالقليل ، ولا ينبغى أن يحسب قليلا حتى في موازين المستقلين له من دعاة القرن العشرين ، فانهم لخلقاء أن يسألوا أنفسهم : هل كان من المفيد تحريم تعدد الزوجات لو أراد أحد تحريمه ولم يقنع يومئذ بذلك الاصلاح ؟ . . ما كان ذلك التحريم بالجد الذى يقدم عليه مشرع فى شئون الاجتماع وما كان له من وصف يوصف به إلا أنه عبث تتنزه عنه حكمة التشريع، ولن يكون التحريم إلا عبث عابث حين تكون الإباحة حكما عالمياً قد انعقد عليه إجماع الشرائع والعادات والأديان .

وربما كان العمل المنتج فى هذا الاصلاح منوطا باسناد حق الموافقة إلى المرأة قبل البناء بمن يخطبها سواء كانت ولية أمرها أو كان لها ولى ينوب عنها ، والنبى عليه السلام يقول : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » ، وقال : « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها » .

فهذا الحق ينقل أمر إنصاف المرأة إلى يديها ، فان قبلت تعدد الزوجات راضية فهى أولى باختيار ما يرضيها ، وإن قبلته لضرورة لا محيص عنها فوجود هذه الضرورة فى المجتمع رد كاف على من يتغافل عنها ولا يلتفت إليها ، وما كانت لمرأة لتقبلها يوما إلا وهى توقن أن قبولها أوفق لها من رفضها .

على أن تعدد الزوجات على إطلاقه قبل الاسلام لم يكن يضيم المرأة كما كان يضيمها قضاء الذلة التي رانت عليها فى شعوب الحضارة وشعوب البداوة على السواء ؟ وكان بعض الحضارات — كالحضارة المصرية القديمة — يميل إلى إنصافها فى حقوق الأسرة والمجتمع ثم شملتها النكسة العامة التى غمرت العالم الإنسانى فى الحقبة التى مرت به من القرن الثانى قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده ، إذ كان هذا العالم الإنسانى قد غثيت نفسه بمساوئ الترف المادى والانحلال الخلقي فخرج منها بعقيدة احتقار الجسد وتصوير المرأة فى صورة النجاسة المحذورة لأنها عنوان المتعة الجسدية والشهوات الحسية ، فهبطت فى معيار الأخلاق والعقائد إلى حطة النجاسة وبقيت فى معيار التشريع حيث أبقتها أم الشرائع فى العصور القديمة — دولة الرومان — ولم تزد فى شريعتها كثيرا عن منزلة الرقيق المملوك الذى لايستقل عن مشيئة رب الأسرة بحق من الحقوق .

وأما فى بلاد العرب فقد كانت للمرأة حالات تتراوح بين الكرامة والمهانة ، أحسنها لم يرتفع بها عن حالة الطفل القاصر فى رعاية أهله ، وأسوءها تدل عليه عادة وأد البنات خشية العار أو خشية الإملاق ، فهذه الحالة العامة فى شعوب الحضارة والبداوة هى التى أنقذها منها الأسلام ، لأنه رفع عن الجسد وصمة النجاسة ورفع عن المرأة وصمة العار ، ووهب لها فى المعاملات حقوق الشخصية المستقلة

التى تملك ما عندها وتملك أن تنيب عنها من يديره لها ولو لم يكن وليها أو قريبها ، وفرض لها المساواة المثلى التى تستقيم مع اختلاف الجنسين ، ولم يحرمها من المساواة إلا ما يعد الحرمان منه نوعا من الإعفاء عند تقسيم العمل بين الجنسين المختلفين .

* * *

والمساواة المثلى هى العدل الذي لاظلم فيه على أحد ، ولهذا لم يستطع فقهاء التعريفات أن يجعلوها مساواة فى الواجبات لأن المساواة فى الواجبات مع اختلاف القدرة عليها ظلم قبيح ، ولم يستطيعوا أن يجعلوها مساواة فى الحقوق لأن المساواة فى الحقوق مع اختلاف الواجبات ظلم أقبح من ذلك ، لأنه إجحاف يأباه العقل وإضرار يحيق بالمصلحة العامة كما يحيق بمصلحة كل فرد من ذوى الواجبات والحقوق .

وقوام الأمر إذن أن تكون المساواة العادلة مساواة فى الفرص والوسائل ، فلا يحرم إنسان فرصته لإحراز القدرة التى تمكنه من النهوض بواجب من الواجبات ، ولا يحرم وسيلته التى يتوسل بها إلى بلوغ تلك الفرصة ما استطاع من وسائل السعي المشروع .

والمساواة فى الفرص مفهومة بين أبناء الجنس الواحد ، لأنها

ممكنة فى حدود الوظائف الطبيعية ، وأما غير المفهوم فهو المساواة فى الفرص بين جنسين مختلفين فى التركيب والاستعداد وفيما ثبت من الواقع فى تواريخ جميع الأمم ، وفيما يتطلبه المجتمع من تقسيم العمل بين هذين الجنسين .

هذا الاختلاف واقع دائم لا حيلة فيه لأصحاب التعريفات أو أصحاب الدعايات السياسية ، ولا تجدى فى إلغائه وإلغاء دلالته تعلة من التعلات التى يردونه إليها ، فلا ينتهون منها إلى غير السفسطة والمحال .

« فكل ما يقال فى تعليل ذلك راجع إلي علة واحدة وهى تفوق الرجل على المرأة فى القدرة والتأثير على العموم . فليست جهالة القرون الأولى بسبب صالح لتعليل هذه الفوارق العقلية بين الرجال والنساء فى جميع الأمم . لأن الجهل كان حظا مشتركا بين الجنسين ولم يكن مفروضا على النساء وحدهن دون الرجال ، ومن زعم أن الرجل فرض الجهل على المرأة فقبلته وأذعنت له فقد قال إنه أقدر من المرأة أو أنه أحوج إلى العلم وأحرص عليه منها . وليس الاستبداد فى القرون الأولى سببا صالحا لتعليل تلك الفوارق لأن استبداد الحكومات كان يصيب الرجل فى الحياة العامة قبل أن يصيب المرأة فى حياتها العامة أو حياتها البيتية ، ولم يمنع الاستبداد طائفة من العبيد

المسخرين أن ينبغ فيهم العامل الصالح والشاعر اللبق والواعظ الحكيم والأديب الظريف ، وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل فى الأعمال العامة ناشئا من قلة المزاولة لتلك الأعمال ، لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين ولا يزال الرجل يبزها فى هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها ، فهو أقدر منها على الطهو وعلى التفصيل وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل ما يشترك فيه من أعمال البيوت وقد يرجع الأمر إلى الخصائص النفسية فيحتفظ فيها الرجل بتفوقه على الرغم من استعداد المرأة لتلك الخصائص من أقدم عصور التاريخ . فالنواح على الموتى عادة تفرغت لها المرأة منذ عرف الناس الحداد على الأموات ، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يوما قصيدة من قصائد الرثاء تضارع ما نظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون ، وقد كان أكثر الشعراء فى العهود القديمة من الأميين.

بل هناك خاصة نفسية لا تتوقف على العلم ولا على الحرية ولا نوع العمل أو الوظيفة فى المجتمعات أو البيوت ، وهى خاصة الفكاهة وخلق الصور الهزلية والنكات التي يلجأ اليها الناس حين يحال بينهم وبين التعبير الصريح ، وربما كان الاستبداد أو الضغط الاجتماعي من دواعى تنشيط هذا السلاح النفسي فى قرائح المستعبدين والمغلوبين ، لأنه السلاح الذى ينتقم به المغلوب لضعفه والمنفذ الذى يفرج به عن ضيقه وخوفه ، وقد كان ضغط الرجال على النساء

خليقا أن يغريهن باستخدام هذا السلاح لتعويض القوة المفقودة والانتقام للحرية المسلوبة ، ولكن الآداب والنوادر لم تسجل لنا فكاهة واحدة أطلقها النساء على الرجال كما فعل الرجال المغلوبون فى الأمم الحاكمة أو المحكومة على السواء أو كما فعلوا فى تصوير رياء المرأة واحتيالها على إخفاء رغباتها وتزويق علاقاتها بالرجال ، وهذه الملكة – ملكة الفكاهة – خاصة نفسية لم يقتلعها من طبائع الرجال ظلم ولا جهل ولا فاقة ولا عجز عن العمل فى سبيل الحياة . فمن اللجاجة أن يتجاهل المتجاهلون هذه الفوارق وهى أثبت من كل ما يثبته العلم والعلماء ، وما كان للعلم أن يوجد شيئا لم يكن له وجود فى الواقع أو فى تفكير العقول ، وإنما هو أبدا فى مقام التسجيل أو مقام التفسير (١) » .

* * *

إن هذه الاعتبارات موضوعة حتما بين يدى كل تشريع يتحرى مصلحة المجتمع فى حاضره ومستقبله ، ومتى نظر التشريع إلي هذه الاعتبارات فانه لا يقيم العدل بين الجنسين على أساس المساواة فى الفرص ولا على مطالبة كل منهما بواجبات كواجبات الآخر أو تخويله حقوقا كحقوقه ، وليس أمامه من عدل بين الجنسين غير

(١) من كتاب الفلسفة القرآنية للمؤلف .

العدل على أساس تقسيم العمل بينهما كما يتوفر عليه كل منهما ، وهذا هو العدل على سنة المساواة بين الواجبات والحقوق ، وأن تكون حقوق الجنس مكافئة لواجباته ، وواجباته مكافئة لحقوقه . ومن الهزل لامن الجد فى شيء — أن نعلم أن تربية البنين وتنشئة الجيل الجديد وتنظيم البيت والأسرة واجب على المرأة قبل الرجل ثم نزعم أنها مساوية له إذ تقوم بهذا الواجب وتقوم بأعباء الرجل فى الأعمال العامة على السواء .

وعدل المساواة بين الواجبات والحقوق هو عدل الإسلام فى بيان حقوق المرأة وحقوقها هى على الرجل وحقوق الرجل عليها : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ . . . ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ .

وإن تقسيم الواجبات والحقوق فى الإسلام على هذا القسطاس لهو تقسيم الفطرة الذى نرجع إليه قسرا كلما شردنا عن طريقه ، وما نخال أن تقسيم الفطرة مجهول بعد تقرير مكان المرأة الطبيعى فى القيام على شئون البيت وتربية الجيل الجديد ، ومن حقها إذن على الرجل أن يتولى الإنفاق عليها وعلى البيت ، إذ كانت لا تستطيع أن تعول أبناءها وتكدح لنفسها .

نعم ، إن المرأة فى المجتمعات الحديثة تضطر إلى العمل لكسب معيشتها ، إلا أن هذا الاضطرار خلل فى المجتمع يؤسف له ولا يغتبط به ولا يبنى عليه قوام الحاضر والمستقبل ، وقديماً كان الطفل الصغير مضطراً إلى العمل لكسب معيشته فلم يكن هذا فضيلة للمجتمع الذى يحدث فيه تستوجب التشجيع والإقرار ، وتستقيم عليه أسس التربية والتشريع ، بل كان خللا وخيم العاقبة تتضافر الجهود على سداده وتحريمه ، وتحاربه الشرائع والآداب على الرغم من الاضطرار إليه فى كثير من الأحوال .

وإن الخلل الذى يلجىء المرأة إلى السوق وإلى المصنع وإلى معارك الحياة العامة لحقيق بمثل هذه المحاربة ، ومفروض علينا أن نجعل القضاء عليه أملا ننشده ولا نجعله إنكاراً لحقوق المرأة وانتقاصا من كرامتها ، وهكذا تستوى مصالح المجتمع على جادتها أو تنقلب على من ينسخونها — ويمسخونها — كما تنقلب قوانين الفطرة على كل خارج عليها .

وبعد أربعين سنة من اللغط « بالرجعية » فى الإسلام والتقدم فى المذهب المادى القائم على العلم ورعاية القوانين الطبيعية فى زعم أصحابه — يحق للناقد المسلم أن يبتسم وهو يرى فى كل يوم ضربة من ضربات الفطرة ترتد بالسخرية على من يخرجون عليها ، ونقرأ فى

خطب الفلاسفة الماديين كلاما عن الأسرة الملعونة ـ في عرف الماديين يقيم عليها دعائم المجتمع الصناعى الذى ينبغى أن يعصف بالأسرة عصفا إذا صح ماقدره له « كارل ماركس » وأتباعه ، ويقول لنا الفيلسوف خارشيف Kharchev من خطاب للشبان الشيوعيين أذيع فى الثلاثين من شهر يناير سنة ١٩٥٦ ... « إن الأسرة السوفيتية الناشئة تخلق من أجل العمل المشترك على مصلحة الوطن ، كى تزوده بأبناء وبنات مجتهدين مخلصين ، وأن سعادة الأسرة لن تنفصل عن سعادة المجتمع الاشتراكي وجهوده » .

وأدعى من ذلك إلى الابتسام قول الزعيم خروشيشف فى تقريره للمؤتمر العشرين من مؤتمرات الحزب الشيوعى كما نشرته « برافدا » فى الخامس عشر من فبراير سنة ١٩٥٦ :

« إننا لانستطيع أن نتجاهل الحقيقة الواقعة التى تلاحظ فى هيئات كثيرة من هيئات الحزب الشيوعى ، وهى الحذر من ترشيح النساء للمراكز الرئيسية فان عدد النساء قليل جـــدا بين أصحاب المراكز الموجهة فى الأعمال السوفيتية ولا سيما مراكز السكرتارية فى اللجان ومراكز الرئاسه فى اللجان التنفيذية والمشروعات الصناعية والحقول المشتركة وحقول الدولة » .

ولم يلاحظ هذا الحذر فى مجتمع يدين بالرجعية الإسلامية ، ولكنه حدث

في مجتمع مضى عليه أربعون سنة يغتصب التسوية اغتصابا بين الرجل والمرأة وينشأ أبناء الأربعين وبنات الأربعين فيه وما سمعوا قط شيئاً غير «أوامر» المساواة بين الجنسين فى المدرسة والمصنع والطريق والبيت ، وما اجترأ قط علي التشكيك فى هذه المساواة بين أبنائه وبناته أحد يريد أن يأمن على حياته من تهمة النكسة والخيانة واستعادة الآداب الغابرة التي قام عليها الاستغلال فى بلاد رأس المال.

* * *

وستمضى أربعون سنة أخرى بعد هذه السنين الأربعين التى مضت على وضع الشريعة الماركسية في موضع التنفيذ ، وسيبتعد العالم مسافة أخرى من أحكام هذه الشريعة كلما خرجت من دور النبوءات والنظريات ودخلت فى دور الوقائع والمحسوسات، وسيكون ابتعاد العالم عنها فى المستقبل أعجل وأسرع من ابتعاده عنها فيما مضى ، لأن حماسة الإيمان بها كانت تصمد للحوادث حينا يطيل أجلها على غير طائل ، ولن يقوى هذا الإيمان المتهافت بعد اليوم على صدمات الحوادث فى الداخل والخارج إلا من قبيل تغطية الهارب لمهربه إن بقيت به حاجة إلى التغطية بعد انكشاف الأمر وشيوع التفاهم على بطلان المذهب بين دعاته وأدعيائه . وسيرثى غداً لمن يبقى بعد هذا الزمن متعلقا بحباله الرثة محتجا به على نظام من النظم

الدينية أو الوضعية، فما من نظام سيكون غداً أبعد من النظام الماركسي عن حقائق الأمور ، وسيبقى من الإسلام على التخصيص ما كان باقياً قبل ظهور المادية التاريخية وبعد احتجابها، فيزول المذهب الذى قالوا إنه مذهب العصر والعلم والتقدم إلى المستقبل بغير نهاية ، ويبقى المذهب الذى قالوا إنه قد لحق بأمس الدابر فليس له من الغد نصيب. ويماري غدا من يمارى فى شأن الأسرة والمرأة بعد الشوط الطويل الذى يعبره العالم اليوم متردداً مختلفاً على نظام الأسرة وحقوق المرأة أو حقوق الجنسين ، ولكنه لايمارى فى جناية المذهب المادى على الأسرة وجنايته من ثم على المجتمع فى حاضره ومصيره ، ولن يمارى فى حقيقة النظام الذى ينقذ المرأة من براثن الاستغلال والابتذال ، فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذى يرسلها إلى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن تخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت بيتها أماً وربة أسرة وسيدة للعالم الصغير الذى ينشأ منه الغد ويسكن إليه الحاضر من وعثاء الكفاح فى الأسواق والمصانع ومعارك السياسة .

والشيوعى الذى يرثى له غدا حين يحتج ببقايا مذهبه على النظام الإسلامى فى شأن المرأة — سيرثى له من اليوم حين يحتج ببقايا مذهبه على النظام الإسلامي فى شئون المعاملات .

فكل منتقد لهذا النظام يستطيع أن يقول شيئا إلا جماعة الشيوعيين أصحاب الآراء المعروفة فى رؤس الأموال واستغلالها فى أيدى المرابين والمتجرين بالنقود .

فان الذين يزعمون أن الإسلام لا يصلح للمعاملات العصرية قد جمعوا أسبابهم كلها فى مسألة المصارف والقروض أو فيما سموه مسألة الربا على غير فهم لأحكام الإسلام فيه .

وهؤلاء لهم كلام يقولونه فى هذا الصدد اذ لا كلام فيه لأحد من الشيوعيين . لأن هؤلاء الشيوعيين قد تطول ألسنتهم فى كل مجال ولا تستطيع أن تطول في هذا المجال ، مع فلسفتهم المعلومة عن رؤس الأموال وعن الاستغلال وبيع النقد كما تباع السلع لفائدة أصحاب « الأعمال » وعلى حساب طوائف العمال ! .

فماذا يقول الشيوعى إذا أراد أن ينقد الإسلام فى تحريمه الربا والاتجار بأعيان النقود ؟

إنه يسكت السكوت الذى يستحق الرثاء ، فانه ليقف هنا موقف العاجز عن تحريك لسانه بالثناء وهو لا يريد الثناء ، أو بالمذمة والتجريح ولا وجه عنده لمذمة أو تجريح .

لقد حرم الإسلام الاتجار بأعيان النقود كما حرم أكل الربا

أضعافا مضاعفة وما من شريعة عصرية تبيح اليوم ماحرمه الإسلام على المرابين وهى آمنة على سلامة المجتمع من الخراب أو من الفتنة والاضطراب . فأما المعاملات التى لاضرر فيها على أحد ولا اتجار بالنقد فى غير عمل فليس للاسلام فيها حكم غير حكم القانون الصالح أينما كان ، وأنى يكون .

* * *

ومسألة الحدود الجنائية أدق المسائل بعد مسألة الرق ومسألة المرأة ومسألة المعاملات ، ودقتها أنها مسألة فقهية للفقهاء وولاة الأمور ، وليس قصارى الأمر فيها أنها مسأله من مسائل الشعائر والمعتقدات.

وهذه المسألة الفقهية الدقيقة تتشعب فيها شروح الفقهاء من حيث تتعدد الحدود والجنايات ، وتتعدد الشروط والأركان ، وتتعدد الأدلة والشبهات ، فيقع فيها اللبس الكثير كما يقع فى عموم المسائل الفقهية ، ويخطىء المسلم الجاهل دقائق الرأى فيها كما يخطئها الجاهل بالاسلام من الأجانب عنه أحسن النية أو أساء .

والإفاضة فى البحوث الفقهية ليست من أغراض هذا الكتاب ، وقد نستوفى أغراضه إذا نبهنا إلى منافذ الخطأ فى فهم النظام

الاجتماعي الذي جاء به الاسلام وفهم نظام العقوبات على التخصيص ، وهذا ما ننبه إليه بالإيجاز في الأسطر التالية .

إننا نسمع على الدوام أن عقوبات الشريعة الأسلامية ينبغي أن تطابق أحوال القرن العشرين .

ونقول نعم ولا نحسب أن أحداً يقول غير ذلك ، ولكن الألزم من ذلك أن تكون مطابقة للبيئة التي تنزلت فيها وللزمن الذي تنزلت فيه .

وقد تنزلت الشريعة الاسلامية في الجزيرة العربية على عهد الجاهلية ، يوم كانت شريعتها الغالبة بين جميع القبائل شريعة الغارات التي تستباح فيها دماء المغلوب وأمواله ونساؤه وكل مملوك له في حوزة الفرد أو حوزة القبيلة ، وكان أهل الكتاب يدينون بشريعة موسى التي لم يبطلها السيد المسيح ولها حدود مفصلة في التوراة وقصاص تؤخذ فيه العين بالعين والسن بالسن ، كما ذكرها القرآن الكريم .

فاذا جاء الإسلام بعقوبات لا تصلح لعصر الدعوة لم يعط التشريع حقه في ذلك العصر ولا في العصور التالية ، ولكنه يعطى التشريع حقوقه جميعاً إذا صلح لزمانه ولم ينقطع صلاحه لما بعده ولم يمتنع

فيه باب الاجتهاد عند اختلاف الأحوال ، فيشتمل جزاؤه على جنايات الحدود والقصاص وعلى الجنايات التى تستحدثها أحوال المجتمعات ويأخذها الشارع بما يلائمها من موجبات الجزاء .

وهذا ماصنعه الإسلام فى جنايات الحدود والقصاص وفى غيرها من الجنايات التى تدخل عند الفقهاء فى باب التعزير ، وعلينا أن نذكر :

« أولا » أن الحدود مقيدة بشروط وأركان لابد من توافرها جميعا بالبينة القاطعة وإلا سقط الحد أو انتقل إلى عقوبات التعزير إذا كان ثبوته لم يبلغ من اليقين مبلغ الثبوت الواجب لإقامة الحدود .

وأن نذكر « ثانيا » أن القصاص مشروط فيه العمد وإرادة الأذى بعينه فإن لم يثبت العمد فالجزاء الدية أو التعزير ، وقد يجتمعان أو يكتفي بالدية دون التعزير أو بالتعزير دون الدية .

ولنذكر أن جرائم التعزير تشمل جميع الجرائم التى يعاقب عليها بالسجن أو بالغرامة أو بالعقوبات البدنية .

ولنذكر فى جميع هذه الأحوال أن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات ، فإذا قامت الشبهة للشك فى ركن من أركان الجناية أو ركن من أركان الشهادة فلا يقام الحد وينظر ولى الأمر فى التأديب بعقوبة من عقوبات التعزير .

ولنضرب المثل بأكبر جنايات الحدود وأشيعها فى الجاهلية العربية وجاهليات الأمم فى عنفوانها ، وهى جناية قطع الطريق والعيث فى الأرض بالفساد ، ففى هذه الجناية يقول القرآن الكريم : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتَّلوا أو يصلبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾ .

فهذه جناية لها عقوبات متعددة على حسب الأضرار والجرائم ، ومنها القتل والصلب وقطع الأطراف والنفي وهو بمعنى النبذ من الجماعة إما بالسجن أو بالإقصاء ، ويلزم العقاب من لزمته أحكام الدين ، فاذا كانت جنايته قد انتهت بالتعوبة قبل أن يلزمه قضاء الاسلام فهذا هو الباب الذى فتحه الإسلام لابتداء عهد وإنتهاء عهد غبر بأوزاره وعاداته وانطوى حساب الجناية والعقاب فيه بانتهائه .

وأشد هذه العقوبات لم يكن شديدا فى عرف أمة من الأمم عوقب فيها من يقطعون الطريق ويعيثون فى الأرض بالفساد ، مع حضور الخطر وكثرة مغرياته وقلة الزواجر الاجتماعية التي تحمى المجتمع من أضراره وجرائره ، وقد كانت عقوبات القتل والتمثيل

قائمة فى جميع الأمم مع قيام الجريمة وقيام أسباب الحذر منها ، وظلت كذلك إلى القرن السابع عشر فى البلاد الأوربية التى استقر فيها الأمن بعد الفزع وانتظمت فيها حراسة الطريق بعد الفوضى التى طغت عليها من جراء فوضى الجوار بين الحكومات .

وتلحق بجناية قطع الطريق جناية السرقة التى لاغصب فيها ، وشروطها أن يكون السارق عاقلا مكلفا وأن يكون المال المسروق محرزا مملوكا لمن يحرزه بغير شبهة ، بالغا نصاب السرقة كما يتفق عليه الفقهاء ، وكل جريمة من قبيل السرقة لم تثبت فيها هذه الأركان المشروطة فلا يؤخذ فيها الجانى بحد السرقة ويؤخذ فيها بعقوبات التعزير ، وعند الضرورة القاهرة التى يقدرها الإمام يجوز العفو كما عفا عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن الغلامين السارقين فى عام المجاعة .

ولا بد أن يمتد نظر الباحث على مدى مئات السنين قبل أن يسأل عن صلاح الشريعة لعصر من العصور ، ولا محل لسؤاله إذا أراد أن يحصر هذه الشريعة فى زمن واحد وبيئة واحدة ، ولكنه يحسن السؤال إذا عرض أمامه أحوالا للأمم فيها القديم والحديث وفيها الهمجي والمتحضر وفيها المسالم المأمون والشرير المحذور ثم سأل هل فى الشريعة قصور عن حالة من الحالات التى تعرض لتلك الأمم

فى جميع أطوارها ؟ وهل هناك عقوبة نصت عليها الشريعة لم تكن صالحة في حالة من تلك الحالات ؟

فهكذا توزن الشرائع التى تحيط بالمجتمعات في مئات السنين ومئات البيئات وبغير هذا الوزن تكثر منافذ الخطأ أو يبطل السؤال فلا محل للسؤال .

* * *

وننظر إلى المجتمع الإنسانى الذى يقيمه الإسلام بعد هذه النظرات المجملة إلى مسألة الرق ومسألة المرأة ومسائل المعاملات ومسائل العقوبات ، فنحن إذن خلقاء أن نرى فارقا بين المجتمعين — مجتمع الإسلام ومجتمع الشيوعية — لاتستوى فيه وجوه القياس ، لأنه فارق بين وهم مفروض على التخمين ، وبين حقيقة واقعة من حقائق الماضى والحاضر وحقائق المستقبل كما يراها من يشهده رأى العين .

فالمجتمع الشيوعى فرض خيالى قوامه دعوى المدعين أنه سيأتى — إن أتى — سوياً بغير طبقات ، وأن الشرور الاجتماعية وشرور الطبائع كافة ستفارقه أبد الأبدين إذا فارقه شئ واحد ، وهو رأس المال .

هذه هي الخرافة التي يسمونها بالمجتمع الشيوعي الذى سيحق غداً متى حقت الدعوى أو حق الفرض والتخمين .

أما المجتمع الإسلامي فهو هذا المجتمع الإنساني المتجدد الذي يحق على سنة التقدم بما يحققه من مبادئ الإسلام ، وهي مبادئ لا تنتشر وتنطوي في مدى أيام أو مدى أعوام .

يقوم المجتمع الإنساني على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس ، ولا تمنعه المساواة أن يعطى المزايا النافعة حقها من الانصاف لمصلحة المنتفعين بتلك المزايا في جميع الطبقات ، ولا تفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة ، فانما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . . . ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . فضل الله المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ .

وإذا وجدت درجات الثروة فلا ينبغي أن تكون حكراً تستأثر به طبقة واحدة ولا أن تكون « دولة بين الأغنياء » ولا بد في كل ثروة من حق معلوم للسائل والمحروم .

والإسلام لا يحل مشكلة الفقر بالصدقات المفروضة على الأغنياء لمعونة المحرومين والمعوزين ، ولكنه جعل هذه الصدقات منذ ألف وأربعمائة سنة لمن جعلتها لهم دول العصر الحديث من العجزة والمرضى

والشيوخ والمنقطعين ، وحل مشكلة الفقر « أولا » بخلع القداسة التي كانت تجلله في كثير من الأديان ثم حلها بإيجاب العمل على القادرين وإيجاب تدبيره على الإمام المسئول لكل قادر عليه .

* * *

والمجتمع الإسلامى لا يهدم شيئاً من كيان الاجتماع الذى استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية فى الحقب الطوال ، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنسانى تاريخ متصل يتمم بعضه بعضها وتنتهى إلى التعارف بين الشعوب والقبائل فى أخوة عامة لافضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الاسلام على كيان الاجتماع فى الشخصية الفردية وفى الأسرة وفى الايمان بوحدة النوع ، ولايهدم بنية من هذه الأبنية الحية التى « تحققت » لتعيش بين القوى العاملة فى المجتمع لاتنهدم وتندثر فى حقبة بعد حقبة ، كأنها من الشرور التى تولد على الرغم منا وتعود كلما استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندرى من أين تعود .

وقد جاء فى القرآن الكريم فى وصف أهل النار أنهم ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها حتي إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ .

ففى هذا الوصف «للعالم الملعون» بيان للفارق فى تقدير الاسلام بين المجتمع المثالى فى الشر والفساد والمجتمع المثالى فى الخير والصلاح ويصدق الوصف المثالى لعالم الشر والفساد على التاريخ الانسانى كما توهمه الشيوعيون : كلما تعاقبت أطوار التاريخ لعن الأواخر منها أوائلها وجاء الخلف الأخير ليصب النقمة والعذاب عليهم أجمعين .

ذلك فى الحق تاريخ جحيم ، أو تاريخ عالم ملعون ، لا خير فى أوائله ولا أواخره ، وشره ثابت فيما كان وخيره لا يكون إلا فى أحاجى الأوهام والظنون ، بعد هدم ما كان جميعاً أملا فيها سوف يكون .

كيان الاجتماع فى الاسلام لا يتهدم بل يزداد قوة على قوة ، ويدعمه الاسلام ليؤسس به بنياناً مرصوصاً يشد بعضه بعضا ، ويتعاون على البر والتقوى ولا يتعاون على الاثم والعدوان .

فالشخصية الإنسانية فيه حقيقة حية ، والأسرة الاجتماعية فيه حقيقة حية ، والنوع الانسانى الذى تنتمى شعوبه وقبائله إلى أسرة كبيرة يجمعها التعارف والتعاون هو كذلك حقيقة حية .

لا شئ ينهدم جزافا أو لانتظار مجتمع من الخلق لا رابطة بينهم إلا أنهم كانوا مأجورين يسامون بخس الأجور .

هذا المجتمع الذى ينهدم من أجله كل كيان قائم لم يكن قط إلا وهما من أوهام الخيال ، أو حلما من أحلام كابوس الشر والفساد .

أما الشخصية الإنسانية وروابط الأسرة ووحدة النوع الإنسانى فهى أمامنا بنية حية أو بنية تحيا ولا يجوز أن تنهدم لوهم من الأوهام .

كل منها « كيان » حق صنعته العناية الالهية ورصدت له رسالته وآتته قدرته عليها ، ولم يخرج من بوتقة الخلق « غلطا » ليعاد تركيبه بعد تصحيح حسبة الأجور ورؤس الأموال .

وما من حجة غير حجة الشيوعية ينهدم بها كيان الشخصية الإنسانية وينهدم بها كيان الأسرة وينهدم بها كيان النوع الانسانى ليؤول ميراثه إلى طائفة مزعومة ما وجدت بعد وما من دليل قط على أنها وشيكة الوجود .

ما أهزل الحجة وما أكرم البناء الذى يراد له الهدم والفناء .

إن الشخصية الانسانية — شخصية الفرد المسئول — لا ذنب لها إلا أنها لا تستطيع كل ما تريد ، وأن ما يريده الأفراد يتم فى المجتمع على نحو غير الذى أرادوه ، ولو ثبت هذا الذنب لما أوجب مقت الحرية الفردية ولا أوجب بطلان العمل الذى تعمله ، فربما كانت مناوأة المجتمع للفرد هى الشر الذى تزيله أو نتمنى له الزوال ، وكما يقال أن عمل الفرد موقوف على التجاوب بينه وبين المجتمع يقال

كذلك إن عمل المجتمع موقوف على التجاوب بينه وبين الأفراد ، فلا وجه لهدم « الشخصية الفردية » حتى لو صح أنها لا تفعل كل شيء .

والأسرة تنهدم لأنها أذنبت بتعليم الناس شريعة الميراث ، وما تعلمت الأسرة الميراث إلا من طبيعة التكوين التي تجعل الولد وريثا لأبويه في خلقه وخُلقه ولا يستطيع المجتمع أن يجرده من هذا الميراث أو ينجيه منه إن طلب النجاة ، وما كان ميراث المالكين شيئا في جانب الميراث الذي تلقاه ورثة الصناعات أبناء بعد آباء وآباء بعد أجداد ، وما كان في بني الإنسان من خير إذا لم يبق منهم إلا من يعمل لساعته ولا يفكر في غده ولا فيما يكون بعد حياته ، وهذه خليقة تعلمها الناس من الأسرة ومن الميراث وتعلموا خيرا يذهب بذهابه ميراث هذا المخلوق المسمى بالإنسان حيث كان .

وأما النوع الإنساني فينهدم لأنه لم يوجد قط في عرف الشيوعيين ، بل كان الموجود في كل حقبة طائفة من السماسرة وطائفة من الأجراء وطائفة من أصحاب المال ، ودنيا واسعة لك أن تسميها سوقا أو مصرفا أو مصيدة من مصائد الحيلة والخديعة ، وليس لك أبدا أن تسمي هذه الدنيا في طور من أطوارها أو في جميع أطوارها عالما يسكنه بنو الإنسان ! .

كلما دخلت أمة لعنت أختها .

هذا هو الجحيم الشيطاني الذى زيفه الأبالسة ، ولم يفرزه أحد قبل مقدم إخوانهم وأندادهم فى الحيلة والخديعة دعاة الشيوعيين ! .

وهذا بحق هو العالم المثالى للشر والفساد .

وفى مثل هذا العالم قد يسهل العبث بكل كيان اجتماعى بناه التاريخ ولايزال يبنيه ويوطد بناءه على اتصال بين ماضيه وتاليه : قد يسهل العبث بهذه الأبنية الاجتماعية فى دور التحريض والتخريب ، ولكنها قوى اجتماعية لا يتأتى الاستغناء عنها فى دور التأسيس والتنظيم ، ولا بد أن تحيق غوائل الحرمان منها بالمجتمع فى جملته وبكل فرد من أفراده على حدة ، وقد حاقت بالمجتمع الشيوعى عواقب الحرمان من هذه القوى الحية ! قوة الكرامة الإنسانية فى « شخصية » الفرد وقوة العاطفة المتأصلة فى كيان الأسرة وقوة الإيمان بوحدة بنى الانسان التى تعلو على منافع الطوائف والأفراد . فأحس المجتمع الشيوعى عواقب هدمها فى اليقين الخواء والعواطف النخرة والحماسة المكذوبة من صنع الكلام في مصانع الأوهام . فثاب أعداء الوطن والدين يتمسحون بالوطن والدين ، وقالوا فى رثائهم للحرية الشخصية بعد موت ستالين أن اختناق الضمائر والعقول فى عهده إنما كان شهوة من شهوات استبداده خرج بها على مبادئ الدعوة المقدسة وخالف بها أناجيل ماركس ولينين ، وقالوا عن الأسرة أنها قوام المجتمع كله أو قوام الوطن كما يسمونه الآن ، وقالوا

عن وحيهم المعصوم – بعبارة وجيزة – أسوأ ما كان فى عرفهم كفرا بواحا منذ عام أو عامين .

ونحن لا نعلم أن ستالين كان فى استبداده مخالفا لمبدأ من مبادئ أستاذيه ماركس ولينين ، والمهم هنا هو مبادئ لينين بعد الحرب العالمية الأولى لأن ماركس لم يحضر عملا من أعمال التنفيذ والتنظيم فى الدولة الشيوعية ، ومبادئ لينين التى أعلنها فى هذه الفترة صريحة فى جواز الحكم المطلق وموافقته للمبادئ الشيوعية ، فانه يقول فى الجزء الثلاثين من مجموعة أعماله الروسية : « إن اشتراكية السوفيت الديموقراطية لا تناقض بحال من الأحوال قيام الدكتاتورية والادارة بيد فرد واحد . إذ يتم فى هذه الحالة تنفيذ إدارة الطبقة على يد حاكم بأمره يعمل على تعجيلها وقد يكون ألزم لتحقيقها » .

فليس فى استبداد ستالين خروج على مبادئ المذهب كما شرعها مؤسس المذهب فى دور التنفيذ ، فاذا كان فى الأمر من جديد فالجديد فيه أنه هزيمة جديدة للمذهب فى حربه للحرية الشخصية تتلو هزائمه الأولى فى حربه للأسرة وللحرية الشخصية أو للحقوق الشخصية المهضومة — قبل موت ستالين بسنوات . فجاء المذهب الذى جعل الملكية الخاصة ينبوعا لجميع الشرور يوحى بها ويبيحها فى المزارع المشتركة ، وجعل من حقوق الفلاح فى تلك المزارع أن يحتجز قطعة

من الأرض لسكنه وتربية دواجنه يملكها فى حياته ويورثها بعده لخلفائه فى المزرعة المشتركة ولا يسمى ذلك عندهم بالملك الخاص لأنهم يسمونه بالسكن المقيم .

ومما ألممنا به فى هذه الأسطر عن القوى الاجتماعية التى تهدمها الشيوعية ويبنيها الأسلام نعلم أن النظامين متقابلان لا يتلاقيان ، وأنهما متضادان مذهبا وخلقا ومجتمعا ولا ينحصر التضاد بينهما فى العقائد والمعقولات .

فالشخصية الاسلامية التى تهدمها الشيوعية يوطدها الاسلام وينوط بها أوامره ونواهيه ، ويعرفها مشتعلة لا واسطة فيها بين الخلق والخالق من سلطة دينية أو حكومية ، ولا حجاب فيها بين الأرض والسماء .

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

والأسرة التى تهدمها الشيوعية يجعلها الاسلام سكنا للزوجين وموئلا للبر والرحمة بين الآباء والأبناء .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴾

والبنون من زينة الحياة الدنيا ومن نعم الله التي يحصيها على عباده .

ولقد يكون للاباء فى الأمم المقاتلة، وفى غيرها هوى فى ذرية البنين يغتبطون بهم ويزهدون فى الذرية من البنات ، فالقرآن الكريم يؤنبهم على ذلك ويلهمهم شعوراً غير هذا الشعور فى محبة الذرية من بنين أو بنات :

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الأساء ما يحكمون ﴾ .

أما الشعور الإنسانى الذى لا يحجبه شعور الطبقة ولا شعور العصبة فهو الشعور بالأسرة الواحدة تجمع الشعوب والقبائل من أب واحد وأم واحدة ، وهو شعور الإخاء بين جميع المؤمنين ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ..... ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾ ... وذلك هو المثل الأعلى لنعيم الأبرار .

والقوى التى تنعقد فيها المقارنة بين النظامين الاجتماعيين هي أشياء موجودة محسوسة الأثر ، يحاربها الشيوعيون لأنهم يجدونها ويحسون أثرها ، ثم هم يجدون منها سدوداً تصدهم وتعوق مبادئهم أن تنتشر بين الشعوب الإسلامية ولا تصدهم بسدود من التعصب الديني وحسب كما تصورهم العقائد الدينية الأخرى ، بل تلقاهم بالمبادىء التى تعنيهم

عن مبادىء الشيوعية وبالنظام الذى يغنيهم عن نظامها ويحز فى نفوسهم أنهم يحاربونها بمبادىء يرجعون بين آونة وأخرى عن مبدأ منها ، ويبتعدون عنه ليقتربوا من النظام الذى شنوا الغارة عليه وأرادوا أن يزعزعوه فاعتموا أن أيدوه وأكدوه .

وإنهم لفى عداء عنيف للاسلام من أجل هذا لا من أجل أنه دين ينسبونه إلى عمل الانسان ولا ينسبونه إلى الوحى الإلهى كما ينسبه المسلمون ، ولو كانت قوى الإسلام الاجتماعية تطاوعهم وتجاريهم على سياستهم وعلى مطامعهم لما حاربوه ولا ضارهم أن يؤمن المسلمون بأنه من وحى الله لا من عمل الانسان .

فليست المشكلة بين النظامين مشكلة البحث « الاكاديمى » فى مصدر الإسلام . إذ يكون مصدر الاسلام ما يكون فهم محاربوه ما دام سدا فى وجوههم لا ينفذون من ورائه إلى السيادة على بلاد المسلمين .

ولغة الأشياء الموجودة هى اللغة التى يفهمها الشيوعيون ويجب أن يفهمها بين ظهرانينا نحن المسلمين تلك الشرذمة المتحذلقة التى تقيس الدين بجميع المقاييس إلا مقياسه الصحيح الذى يصلح لتقديره .

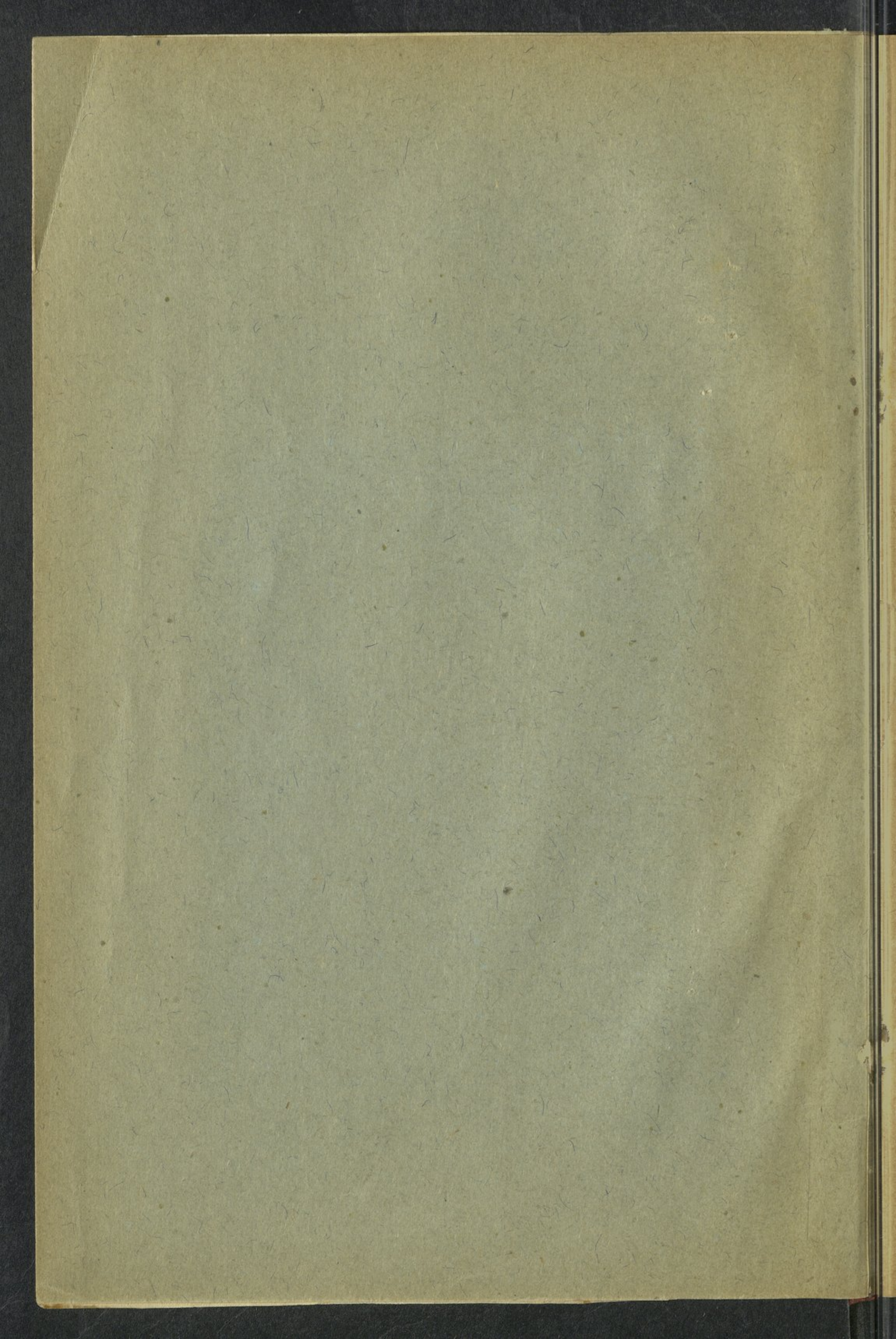
فمن عجز العقل أن يحسب أنه يفرغ من قضية الدين الكبرى كما يفرغ من شهادة شاهد فى قضية على حسب الواقع والرواية ، أو يفرغ من قضية الدين الكبرى وكما يفرغ من حسبة رياضية بميدان

الجمع والطرح ومعادلة الأرقام فانما يوضع حساب الدين فى موضعه حين يوضع معه حساب المتدينين به فى جميع أوطانهم وأزمانهم وجميع أحوالهم ومحاولاتهم ، والمتدينون به ملايين من الخلق يقيمون فى أرجاء واسعة فى الأرض ويخلف اللاحقون منهم سابقين على دين أو على غير دين ، ومنهم العارف والجاهل ، والحكيم والأحمق والطيب والخبيث والقوى والضعيف ، والمسئول عن قوم والمسئول عن نفسه لا يضطلع بتبعة غير تبعاتها ، وهم يعيشون مع دينهم منفردين ومجتمعين فى أعماق أعمق من أعين الرقباء وسلطان ذوى السلطان ، ويرتفعون معه إلى شأو لا يضيء العلم إذا أحاطت به الظلمات .

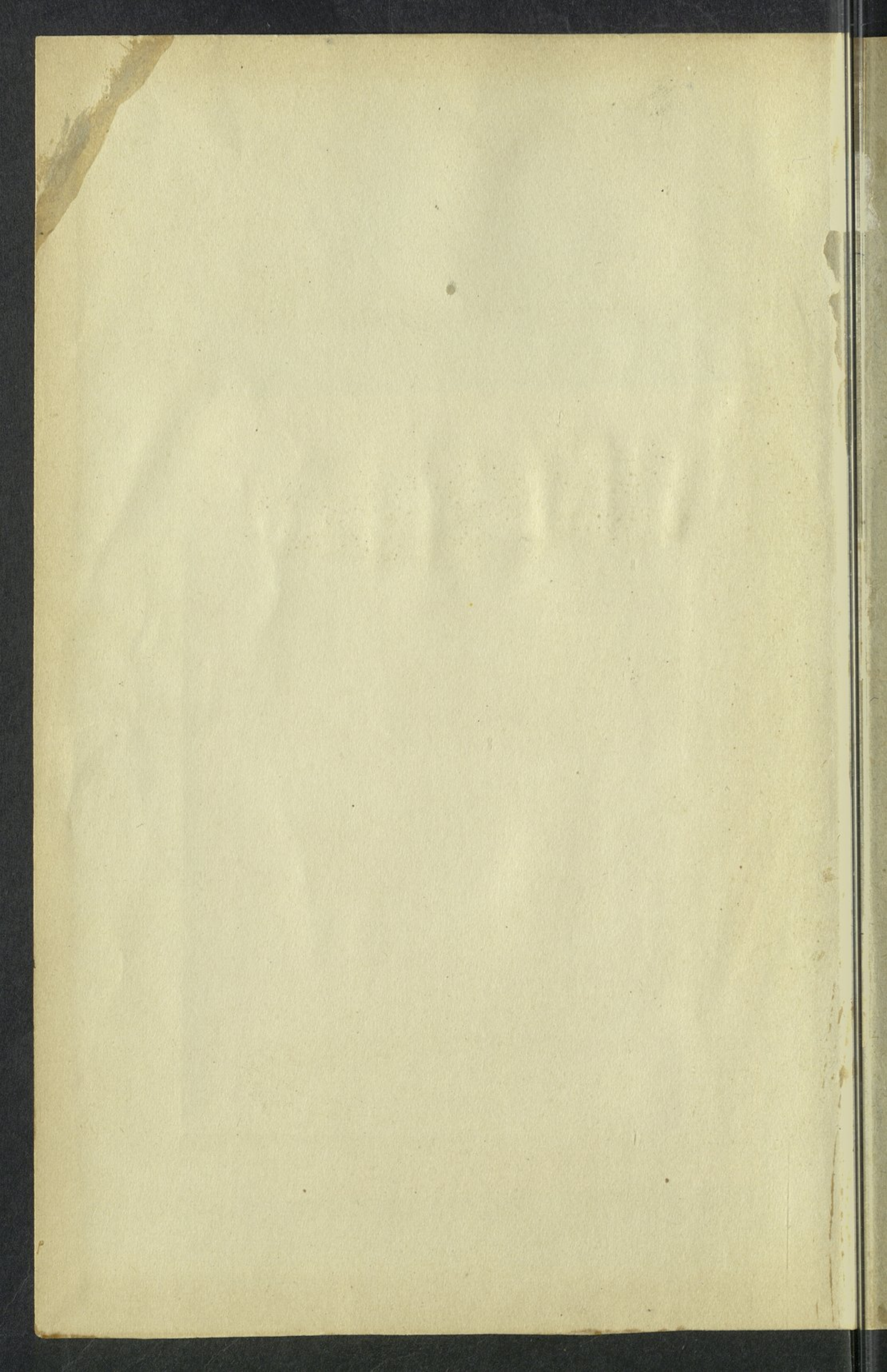
وإذا نظرنا إلى الدين نظرتنا إلى دواء يعالج به داء المجتمع فمن الخطأ أن نحسبة قارورة دواء تشرب ثم تلقى بعد فراغها ، فانما هو « نظام صحة » دائم يؤتى فوائده على مدى أعمار المتدينين ، وأعمار المتدينين ألوف السنين .

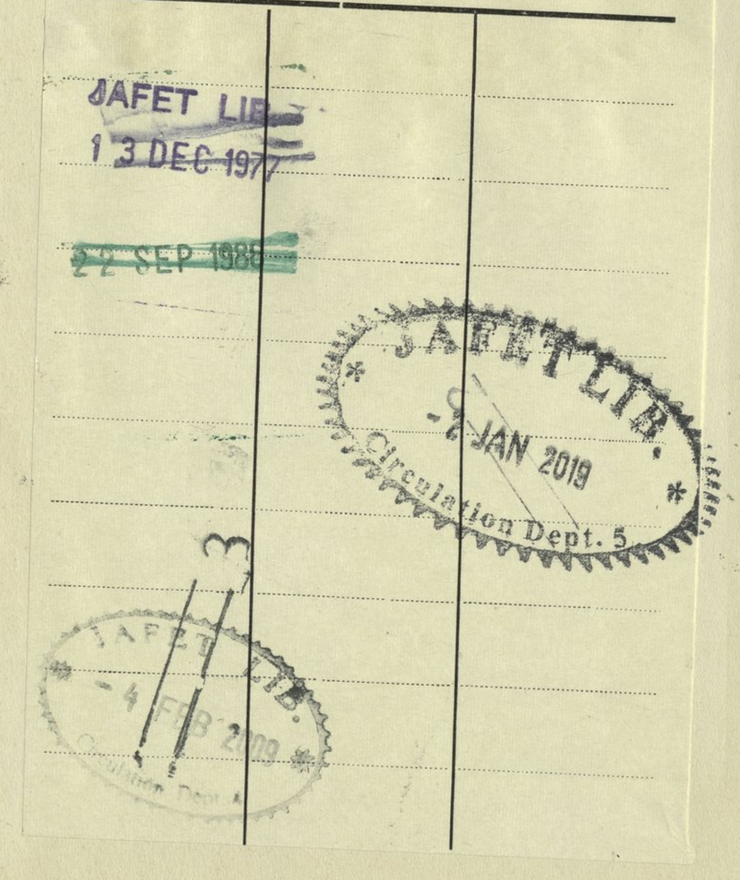
ولكل قائل كلمته فى مدى الزمان الذى يتطلبه الدين لاصلاح شئون الأمم إلا ... إلا الشيوعيين .

نعم إلا الشيوعيين فلا كلمة لهم فى العمر الطبيعى المقدور للدين ، لأنهم يفسحون لمذهبهم العمر من القرن العشرين إلى ما شاءوا من القرون السبعين والثمانين والتسعين ، ولا سند لهم من إله أو نبى أو رسول .. إلا أن يكون كارل مارس أو لنين أو ستالين ! .

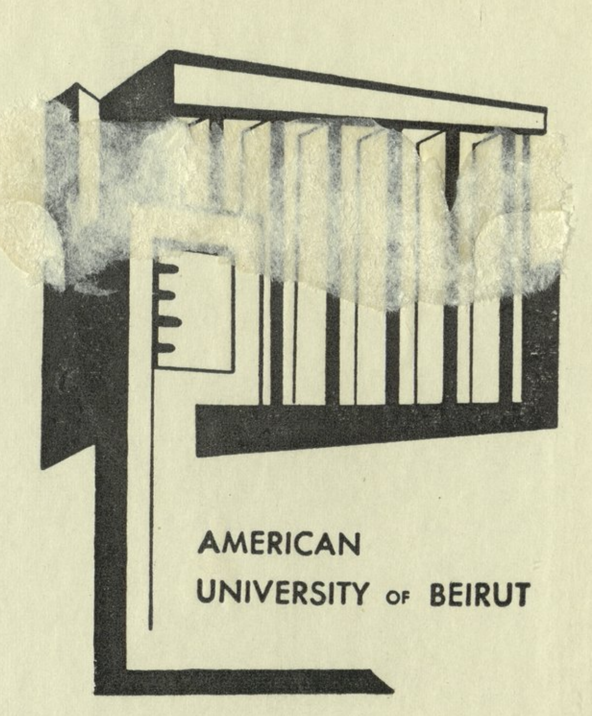


دار الفتوح للطباعة
٧٣ شارع منصور
تليفون ٣٢٨٥٩






العقاد ،عباس محمود
الشيوعية والاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01020104


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT